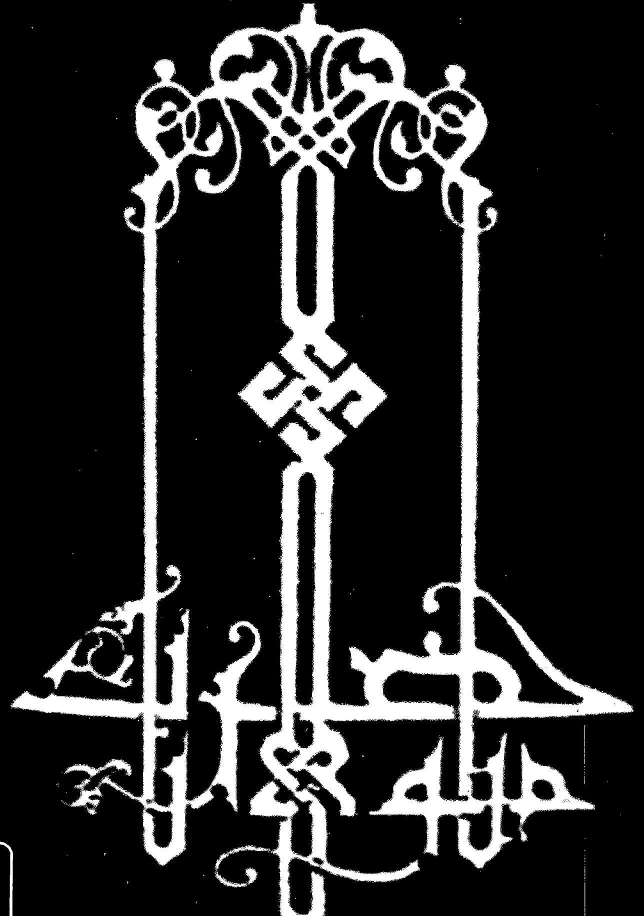
محمد سلمان غانم

القــرآن

الصلاتان وزواج الصحبة



الفارابي







القرآن

الصلاتان وزواج الصحبة

مصادر الأمية الحكمانية

محمد سلمان غانم

القرآن

الصلاتان وزواج الصحبة

- الدين الحق يثوّر الشعوب
- الدين الباطل أفيون الشعوب
- الخرافة آفة الدين

دار الفارابي

الكتاب: القرآن: الصلاتان وزواج الصحبة

المؤلف: محمد سلمان غانم

الغلاف: فارس غصوب

الناشر: دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان

ت: ٣٠١٤٦١(٠١) - فاكس: ٣٠٧٧٧٥(٠١)

ص.ب: ٣١٨١/ ١١ - الرمز البريدي: ٢١٣٠ ١١٠٧

www.dar-alfarabi.com

e-mail: info@dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى: حزيران ٢٠١٦

ISBN: 978-614-432-592-6

© جميع الحقوق محفوظة

تباع النسخة الكترونياً عبر موقع الدار.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي الدار.

المحتويات

فاتحة وموقف

جاء الإسلام في فترة زمنية فاصلة وتحول تاريخي للبشرية كلها في تطورها الصاعد نحو مستقبلها المشرق والمقدر من رب العالمين، فهو المربي لنا ونحن كلنا عياله، وقد أوجدنا أطواراً في التكوين والخلق أولاً، ومراحل من والتقدّم والرقي ثانياً. وإذا لم يكن لنا دخل في الأولى، فعلى أيدينا تتحقق الثانية ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾[1] والثانية هي الوفاء بالأمانة لعمار الحياة الدنيا؛ فالأمانة تكليف، وقد وهب لنا الله العقل، وهو مناط التكليف. فالأمانة إذن هي العقل والعقل هو العلم والعمل، والآخرة مرهونة بالعمل في الحياة الدنيا، فمن يعمر حياته دنيا تعمّر حياته آخرة إلى عشرة أضعاف. وبالتالي فإن الآخرة حصاد الدنيا، أي إن الدنيا معبر (الصراط) إلى دار السلام، والحياة الطيبة في جنات عدن حيث

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٧.

الإقامة المستقرة والهانئة، والشقاء البائس لمن لم يعد نفسه للحياة الراقية السامية في الجنة ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[1] وعليه أن يدفع الثمن بقدر ما ظلم غيره وما أساء إلى الناس قصاصاً عادلاً، ولكن حسب الحكمة الإلهية التي لا نحيط بها إلّا بقدر ما هي مطروحة في القرآن الكريم وأن الله سبقت رحمته عذابه ولكنه عادل مطلقاً وحكيم مقتدر، ولا بدّ أن ينصف المظلوم ممن ظلمه، أو يكرمه فيعوضه، وإذا عاقب أو حاكم أو حاسب - فإن جزاءه ليس الانتقام أو الثأر، وإنما التأديب والعلاج ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[2].

ومهما كان الأمر فإن الله لن يسوي بين الشرير والخيِّر، والمؤمن والناكر، والمظلوم والظالم.

فكيف ينظر رجال الديانات الباطلة إلى هذه الدورة من حياة الإنسان.

إنهم **أولاً**: يفصلون بين دورة حياة الإنسان في الدنيا ودورة حياته في الآخرة، ويعطون الأفضلية المطلقة للآخرة، ويزهدون

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٧.

الناس في حياتهم الحاضرة، ويجعلون الدنيا مرتبطة بالآخرة باعتبار هذه الحياة زائلة والآخرة هي الباقية، بينما الصحيح العكس كما قلنا.

ثانياً: يفصلون بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، ثم يجعلون الطريق للآخرة هو العبادة والشعائر والطقوس، والكهانة، والرهبنة. وإن تكلموا عن العمل الصالح فهو عندهم العبادة... كالصوم والصلاة والحج والاعتكاف. وإن العلماء هم الفقهاء ورجال الدين، وهم فوق الجميع بل أولياء الله وأصحاب الكرامات، وإن كان معظمهم جهلة، وبعضهم إلى الآن ينكرون نزول إنسان على سطح القمر.

ثالثاً: إنهم يقيمون أنفسهم أوصياء على كتاب الله (القرآن). ويحذّرون الناس من أن يعطوا رأياً في قضية أو آية في القرآن، ويشيعون بين عباد الله أن من أعطى رأياً في ذلك فهو آثم حتى لو كان صائباً إلّا للحفظ والتبرّك والغناء (التجويد).

رابعاً: إنهم يشكلّون طابوراً خامساً للسلطة والطواغيت ورجال تضليل ودعاية، أو شرطة دينية.

خامساً: تحريف آيات الله ما أمكن بإعطاء معانٍ ملتوية وأحياناً متناقضة، ويربطون التحريف بالتخريف وتحويل الدين إلى

أفيون للشعوب، بينما الدين الحق يقظة ووعي صافٍ ونقي، ووقود للحركة (سبحة) والهمة والنشاط وإحياء الروح بزاد الإيمان، والإقبال على القرآن كتاب العالمين (الأممية).

إن رجال الدين يقدّسون الملكية (العرضية) ويصدّرون (الفتاوى) بالرغم من أنها بدعة، وهذا ما يجعلهم ينحازون دائماً، عبر التاريخ، إلى المتسلّطين مقابل المضطهدين. وفي أيامنا هذه يشكّل رجال الدين طابوراً على أبواب الحكّام والأنظمة.

أما الانتقاميون، فإنهم يقدسون الملكمالية وفي الوقت نفسه يحاربون الإمبريالية الطاغوتية. مثال على ذلك قول متولي الشعراوي إنه صلى ركعتين شكراً لله على هزيمة الشيوعيين في حرب حزيران ١٩٦٧.

وعندما زار السادات إسرائيل الغاصبة أخذ معه الشعراوي، وفي جلسة مع مناحيم بيغن، قال الأخير: إن القرآن يذكر أن الله كتب لنا ووعدنا بفلسطين بل والشام، وهو يقصد ما ورد في القرآن حين قال موسى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾[1] - وقد اعتبروا أن كتب

(١) سورة المائدة، الآية: ٢١.

تعني وعد – وبالتالي فهي أرض المعاد لنا. بينما كتب لا تعني وعد إطلاقاً، وإنما تعني أمر، أو قضى أو أوجب. مثال على ذلك ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[1] و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾[2]. وواضح من ذلك أن – كتب – تعني أمر أو فرض أو أوجب، وهذا ما يتماشى مع سياق الآية وأسلوب القرآن ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (دخولها). وذلك أمر بالهجرة إلى فلسطين للسكنى والإقامة. تماماً مثل المسلمين الذين أمرهم الله بالهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة. بل إن ورقة بن نوفل قال للرسول من البداية سيخرجونك من بلدك، وما من نبي إلّا وهاجر من موطنه.

ولكن عندما أرسل موسى جواسيس تمهيداً للدخول، قالوا له إن فيها قوماً طوالاً جبارين، فرفضوا الدخول خوفاً من قتال الكنعانيين إلّا إذا خرج منها الجبارون فإنا داخلون. وهنا نصحهم رجلان مؤمنان ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾[3]، إلاّ أنهم ظلوا على عنادهم وطلبوا من موسى وربه أن يخرجا سكانها فتكون خالصة لهم، بينما ليس هذا ما أمرهم به الله من خلال موسى حيث إنهم يريدون من الله وموسى تسجيل هذه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

الأرض لهم في السجل العقاري، وطرد سكانها وإقامة مملكة لهم فيها، وهذا ما لم يكن ليحصل فالله ليس عنصرياً ولا يحابي خلقه ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾[1] دون تفريق أو تمييز.

ولاحظ مما سبق أن كلمة الدخول ومشتقاتها تكررت سبع مرات. كما أن هذه الآيات قد رسمت مشهداً أو صورة فيها بنو إسرائيل وموسى في سيناء فيأمرهم الله بالهجرة والدخول إلى الأرض المقدسة فيعصون أمر الله، فيجازيهم في التيه والحيرة.

وهم يقولون إن دينهم غير تبشيري والحقيقة أنه عنصري، ولا يمكن أن يكون دينهم الحالي وكتبهم الدينية هي ما نزل على موسى وأنبيائهم، ويعتبرون أنفسهم شعب الله المختار (يهوه) ولا يعترفون بنبوّة أحد، وليس هناك رسل غير رسل بني إسرائيل.

والدور الآخر الذي يقوم به رجال الدين هو التزمّت والتكبّر، والمد في الصلوات والعبادات حتى تحول الدين إلى عبء ثقيل على ضمائر المؤمنين، وكثرة من المسلمين لا تصلي ولا تعبد ربها بسببهم.

والشيء الآخر أن دعوتهم تركز على العبادة – وهي أمر شخصي كما يفترض – وأنها تقود إلى الجنة (دار السلام)، بل أكثر

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ١٠.

من ذلك، جعلوا الصلاة ترديد كلمات، وهذا الترديد يتكرر كل يوم مما يتملل منه الناس. والسؤال ما هو النفع أو الفائدة من كل ذلك؟ لا شيء. إنه تعب ونصب وربما الزيادة إثم. ولكن وراء ذلك في الحقيقة أمراً آخر وهو إشغال الناس عن دينهم وكتابهم لأن فيه حياة لهم. وغير الانشغال هذا فإنهم يعملون على تدجين وترويض الناس وإرهابهم وخصوصاً الصلوات الخمس في اليوم وعلى أي شكل كان.

إن العبادة تتكامل مع العمل سواء بسواء، ولكن العمل تحت الرقابة وملاحقة كل صغيرة وكبيرة من الآمرين هي التي تجعل العمل مشقة والصلاة هرباً.

وليس عند الملالي إلّا الكلام عن الجنة والنار وعذاب القبر، وعذاب البرزخ، وعذاب النار، والناس، وخصوصاً العامة، مغيبة، وهم أقرب إلى الموات منهم إلى الحيوات.

والقضية القاضية ليس كم تصلي وكم تصوم وكم تهلل؟ وإنما كم تستفيد؟ وكم تفيد؟ كم تنفع، وكم تنتفع؟

إن إسقاط رجال الدين هو الأمر المطلوب من كل المؤمنين بالله وبالإنسان. فلن نتحرر ما لم نحرر القرآن والجامع حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

رسالة إلى قارئ

يؤخذ دين الله من القرآن الكريم كما بلّغه الرسول لنا وهذا معنى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[1] لأن الرسول في فعله وقوله وإقراره لا ينطق من ذات نفسه وإنما ينطق ويطبق ما يوحيه إليه ربه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[2] إذن ينبغي أن نأخذ من الرسول ما يوحيه إليه ربه أي القرآن. ولذلك أكّد القرآن مراراً وتكراراً أن مهمة الرسول هي التبليغ الذي يشمل تطبيق شرعة الله ومنهاجه ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[3] ولذلك سمي الأنبياء رسلاً لأنهم يبلّغون رسالات ربهم كما ينقلها جبريل عليه السلام لهم. وبديهي أن ما يوحيه الله وجبريل إلى الرسل «لا بدّ أن يأخذ الرسل أولاً ما آتاهم الله»، ثم نأخذ نحن ما يؤتيه الرسل لنا.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

وبما أن الله قد آتى محمداً (ص) القرآن فينبغي علينا أن نأخذ هذا القرآن كما بلّغه الرسول، والرسل جميعاً عليهم السلام لا يتجاوزون في أمور الدين رسالات ربهم ووحيه، ولذلك يقول الرسول كما جاء في سيرة ابن هشام: «إني لم أحلل إلا ما حلل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن». ولذلك فإن الرسول لا يتجاوز القرآن إطلاقاً، ولذلك يقول أيضاً: إذا سمعتم عني حديثاً فاعرضوه على القرآن فإن وافق القرآن فأنا قلته وخذوا به. وإن خالف القرآن فأنا لم أقله ولا تأخذوا به.

أما ما جاء في (ملحوظة) فإنني أود أن ألفت نظرك إلى أن القرآن بيّن ووضّح كيف نصلي وكيف نحج ونحسن عبادته تعالى وفي حالة الصلاة ذكر مراراً وتكراراً أن الصلاة مرتين في اليوم وجاء ذلك في ١٧ [1] آية. أما كيفية تطبيق الصلاة عملياً بحركاتها فقد جاءت إلى الرسول بوحي عملي؛ فجبريل علّم الرسول الوضوء عملياً بعد أن بيّنه بالكلمات المقدسة في القرآن، وصلى جبريل بالرسول مرتين،

---

(١) الصلاة تشمل الدعاء والذكر والتسبيح والحمد. هود (١١٤)، الإسراء (٧٨)، الرعد (١٥)، النور (٥٨)، الكهف (٢٨)، الأنعام (٥٢)، الفتح (٩)، مريم (١١)، الطور (٤٩)، الأحزاب (٤٢)، غافر (٥٥)، آل عمران (٤١)، النور (٣٦)، الأعراف (٢٠٥)، الإنسان (٢٥)، طه (١٣٠).

كل مرة بركعتين. وعلّم الرسول أصحابه كيفية الصلاة عملياً أيضاً كما صلاها جبريل بالرسول. وكذلك حدّد القرآن مناسك الحج وجعله أشهراً معلومات، ولمدة ثلاثة أيام، فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه وكذلك من تأخّر يوماً إضافياً. والحقيقة هذا الموضوع يطول وقد طرحته في كتابي (من حقائق القرآن) وفي فصل (عبادات القرآن) (الصلاة - الحج - الصوم - الزكاة). ومع الأسف فإن عباداتنا الحالية كلها لا تتفق مع العبادات في القرآن، وقائمة على التقليد والاتباع كما كانت الديانة الوثنية. وقد سفّه الله في القرآن مراراً وتكراراً قول المشركين بأنهم يتبعون تقاليد الآباء والأجداد وهو ما ينطبق علينا نحن في هذا العصر، وذلك منذ إطاحة الخلافة الراشدية وتصفية الثورة الإسلامية المحمدية وإحلال الدين الرسمي الباطل محل الدين الإسلامي الحق. وكان الملأ الديني أداة بيد الحكام، حتى أنهم كانوا يلعنون علياً بن أبي طالب (رض) من على منابر الجوامع بأمر معاوية. كما ظهر من يطعن بالصحابة رحمة الله عليهم، أساءوا أو أحسنوا. وأنا أتفق معك تماماً بأن (السنة) أي هدي الرسول (توضح القرآن الكريم ولا بدّ منها في ديننا ومن غيرها فالدين ناقص ولا يقبله الله تعالى)، ولكن هذا الطرح مبالغ فيه، فالرجوع إلى الهدي النبوي عندما يقع سوء فهم لبعض الآيات أو كيفية تطبيقها، لكن لا يصح الزيادة أو النقصان.

كما أن القرآن يفسر نفسه بنفسه كما يقول الفقهاء. وكما يقول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1] من أمور الدين وأنه فصل كل شيء. والحقيقة أن الملأ الديني ألغى شريعة القرآن ومنهاجه واتخذوا من الأحاديث المجتزأة والمدسوسة ديناً آخر يناقض دين القرآن أو على أقل تقدير يخالف آيات القرآن الصريحة، وبهذه الطريقة حرّفوا معاني وتفسير كلمات القرآن بالإهمال أو التأويلات الباطلة، ما أدّى إلى اغتيال القرآن الكريم ونجاح المؤامرات الطبقية من الأعداء والمنافقين في الإسلام إلى إحلال الإسلام الطبقي (الأمبريالي الأميركي الرجعي) محل الإسلام الحنيف كما جرى لليهودية والنصرانية، بل للأديان كافة.

وقد جرى كل ذلك تحت شعار (كتاب الله وسنّة رسوله) بينما الشعار الصحيح كما يطرحه القرآن نفسه هو (القرآن الكريم وهدي الرسول) وهو الموضوع الذي أكتب فيه حالياً. فكتاب الله يشمل كل ما أرسله الله وحياً إلى الرسل من آدم المصطفى إلى محمد الخاتم للرسالات. كما أن السنة في القرآن تنسب إلى الله فقط ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[2] وهذه السنّة في جانبها الديني

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٢.

هي نفسها سنّة محمد بل وجميع رسل الله ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾[1] و﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[2] تعني أن مفهوم الهدى النبوي هو البديل الصحيح لمفهوم (السنّة) ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3] وهَدْي الرسل هو نفسه هُدَى الله لأن هَدْي الرسل هو تبليغ لرسالات الله. أما الرسل كبشر يكدون ويكدحون ويأكلون ويلبسون كغيرهم من الناس الذين عاشوا بينهم فليس له علاقة بالدين. كما أنه جائز عليهم الخطأ والصواب ولكن عندما يخطئون في شيء من أمر الدين فالوحي يصحح خطأهم، وبذلك فإنهم معصومون بالوحي، وعلينا أن نثق أن هَدْيهم هو هُدى الله. وهو الذي يرشدهم إلى الصراط المستقيم، فيما لو زلوا أو مالوا ولو قيد أنملة عن الحق المبين. أما قولك ولهذا (إذا عاقب الرسول (ص) بالرجم فإنها عقوبة شرعية وإذا قطع... فهي عقوبة شرعية). ولكن من قال إن الرسول رجم وقطع وجلد، إن الأحاديث متضاربة بهذا الخصوص والبحث فيها يطول. ولكن يمكن بالإشارة الخاطفة إلى أن الرسول رجم زانية يهودية (الغامدية) أَخْذاً بحكم التوراة عندما حكّمه اليهود بهذه الجريمة، وقد يكون ذلك قبل نزول عقوبة

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

الزنا في القرآن، وهناك من يقول إن اليهود حكّموا الرسول في حالة قتل وليس زنا. أما جلد شارب الخمر فهذه العقوبة لم ترد في القرآن ولا يمكن للرسول أن يتجاوز القرآن إطلاقاً بل حتى الفقهاء يقولون إن علياً هو الذي قضى بعقوبة الجلد لشارب الخمر. أما المخزومية فالأحاديث عنها غير متسقة، وكثير من السلف لا يذكرها كما أن «قطع» لها عدة معانٍ لغوياً وكذلك معناها في القرآن ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[1] ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ﴾[2]. فالأولى تعني جرحن حسب التفاسير وهي في الحقيقة مشهد قصصي يدل على الانبهار وشدة الإعجاب وتصوير لحسن يوسف. أما الثانية فمعناها أنهم هزموا. وأصل قطع منع وليس قص.

أما عن تعدّد الزوجات فقد اهتديت إلى تفسير آية النكاح بشكل مختلف. ثم تنبّهت - بعد دراسة القرآن - إلى آية أخرى تؤكد صحة تفسيري وإذا كان تفسيري غير صحيح فأرجو تصحيحه.

كما أن تعدد الزوجات في الجاهلية وفي عصر الرسول يؤدي وظيفة اجتماعية - اقتصادية، وقد انتفت هذه الوظيفة في عصرنا وأصبح تعدد الزوجات للمتعة فقط أي دعارة مقنعة، وعلى حساب

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٥.

كرامة المرأة بل وتحطيمها نفسياً وعدم إنصافها مطلقاً ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾[1]. والفقهاء من الملأ الديني حللوا الجواري والإماء (اللاتي حررهم القرآن وسماهن الفتيات) وذلك للسلاطين ورجال البلاط والأثرياء، وأي واحدة منهن مباحة لأي واحد منهم، أي جنس جماعي. أليست هذه إباحية وزندقة وكفراً وإلحاداً؟. في الوقت الذي يتهمون الربيين الأشراف أنهم يأخذون بنظام مشاعية النساء لا لشيء إلا لأنهم يدعون إلى مشاعية الماعون كما أمر الله بذلك في القرآن.

أما عقوبة الزنا (فلم آتِ إلّا بتبديل حكم الله بحكم آخر لله أيضاً. فلماذا تدعو أنت إلى تطبيق حكم واحد وتترك غيره؟)

فهي الجلد (جلد رمزي).

أما عن شعار (الإسلام عقيدة وشريعة) فكلام الله الحقيقي في القرآن (شرعة ومنهاجاً). بينما كلمة (عقيدة) لم ترد في القرآن إطلاقاً. فلماذا شعارك صحيح وشعاري خاطئ؟

كما أنني لم أهون من أمر العقيدة. وإنما قصدي أن العقيدة ذات طابع شخصي بحت، أي إنها تعتمد على الاقتناع الذاتي،

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

أي إنها إحساس باطني وجداني أو قلبي ولا يمكن التحقق منه ولذلك نسميه إيماناً. ولو أجبرنا شخصاً على الإيمان بالله فليس لدينا مقياس أو وسيلة نستطيع أن نتحقق من صحة إيمانه أو درجة إيمانه، أي أهو ضعيف أو ممتاز، فلا يعلم بذات الصدور إلّا الله. ولو أجبرنا شخصاً على الصلاة مثلاً سواء بالضرب أو الضغط الاجتماعي أو المعنوي بينما هو غير مقتنع فإن الله لن يقبل صلاته، بل إن العبادات كلها تعتبر باطلة إذا قامت على أساس التقليد وليس الاقتناع، ولذلك فإن مجرد التمذهب دون اقتناع يبطل العبادة والإيمان. (اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، اللهم أرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه).

أما بخصوص الحجاب في القرآن فنورد لك الآية بتمامها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ

عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[1]. وجاء في تفسير هذه الآية باختصار: لا تدخلوا بيوت النبي إلّا أن يدعوكم إلى الطعام، وإن أُذن لكم لغير طعام، فلا تتعمّدوا المكث حتى ينضج الطعام. ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا أكلتم فتفرقوا دون الحديث بينكم أو الاستماع لحديث أهل البيت، إن ذلكم كان يؤلم النبي فيخجل أن ينهاكم عنه، والله لا يبالي أن يقول الحق تأديباً لخلقه، وهداية لهم إلى الفضائل. وإذا سألتم نساء النبي شيئاً، فاسألوهن إياه من وراء حاجز، ذلك أدعى إلى طهارة القلوب.

فالآية، إذن، تتعلق بكيفية التعامل مع بيت النبوة للرجال، وتضع نموذجاً (خلقية) رائعاً للسلوك، خصوصاً مع بيوت أصحاب المسؤوليات العامة كرئيس دولة أو وزير. والحقيقة أن مفهوم الزي الإسلامي ضلالة؛ فالإسلام ليس موضة ولكنه يدعو إلى «ثورة ثقافية» تحرر المرأة من ثقل القيود التي يفرضها المجتمع ومن بينها اللباس. وأطرف ما قيل إن «الملابس هي من صنع الشيطان»، الذي اقترح على آدم وحواء تغطية عوراتهما بلباس من ورق الشجر. ولا يجب إذن الوقوف كثيراً عند الملابس، ووضع القيود عليها انطلاقاً من موروثات عفا عليها الزمن في المجتمعات الشرقية.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

وإن الملابس ليست المعيار الأهم للحكم على الأخلاق وعلى السلوك. فامرأة سافرة يمكن أن يكون سلوكها قويماً، بينما يمكن أن نجد امرأة ترتدي، ما يسمى الحجاب، وأخلاقها غير سوية[1].

وقد هدى الله الإنسان للباس لغرضين: **أولاً**: ستر العورة. وهي النهود والوسط (الجيوب). **وثانياً**: للتجمّل وحسن المظهر ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾[2]. وأصل الريش المال والجمال، وهي هنا تعني لباساً تتجملون به، والأهم لباس التقوى.

وتأتي إشارة أخيرة من رجل دين إصلاحي إيراني وهو حسن يوسف أشكوراي، الذي اعتبر ارتداء ما يسمى بالحجاب غير إلزامي. واتُهِم بالكفر وبأنه يحارب الله، والإساءة إلى الخميني. والحقيقة أن أشكوراي، نفسه يؤيد ارتداء (الحجاب!) لكنه يعتبر أنه (مسألة شخصية وأن الحكومة لا تستطيع إجبار الناس على ارتدائه).

واضح مما سبق أن ما يسمى ضلالةً، بآية الحجاب في القرآن

---

(١) الرأي العام، ١٠/ ٧/ ٢٠٠٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

ليس لها أي علاقة بالنساء أو ملابسهن. ولكن ما هو غير مستحب التبرّج، أي المبالغة في إبراز مفاتن المرأة، كما هي الحال في أي أمر من أمور الحياة الدنيا، ولكن الإفراط كالتفريط. فالإسلام يعلم أن طبيعة المرأة تنطوي على الجاذبية والإغراء فلم يمنعها من رعاية هذه الطبيعة وأن لا تتركها غير معتنى بها فتحجب صبغة الله وفطرته فيها. ولذلك يرى الإسلام أن تزيّن المرأة يتفق مع خصائص طبيعتها. وحسن المظهر للرجل مطلوب أيضاً.

النظرة النصية إلى النص - لفتة إلى القرآن

لقد تراكمت على القرآن ظلمات بعضها فوق بعض أبعدت المؤمنين عن كتابهم الحق من جهة، وعزلت القرآن عن حياتنا وشؤونها من جهة أخرى. وكان نتيجة ذلك أن تكوّنت نظرة أو انطباع عن القرآن أنه كتاب لا يفهمه إلّا رجال الدين. ورجال ديننا أشكال شتى، ولكن ينطبق عليهم - كما هي الحال عند غيرنا - انقسام الدين والفكر والتراث إلى اتجاهين أساسيين، يمثل أحدهما الجماعة المستضعفة وهو الدين الحق، ويمثل الآخر الملأ الطاغي الباغي وهو الدين الباطل، ولكن الحق واحد، أما الباطل فذو وجوه شتى، فكل ما ليس بحق باطل أو أباطيل. وفي ظل هذه الأحوال كيف نهتدي بالقرآن؟ وكيف نؤوله أي نحققه؟! إن المهمة الأولى هي الكشف عن الدين الحق في القرآن، والسير على هداه في تنظيم الحياة الدنيا وهي المعبر إلى الآخرة. فمن يعمّر دنياه تعمر آخرته وليس العكس، لأن الآخرة كشف حساب ما لك وما عليك في

الحياة الأولى وما إذا كنت ظالماً أو مظلوماً؟ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1].

والقرآن واضح ومفهوم عندما ننظر إليه نظرة حيادية موضوعية من واقع العصر الراهن وما وصل إليه الإنسان من علم ومعرفة، ولكن الإلمام الكامل بالقرآن إلمام نسبي، فمما لا شك فيه أن ما كتب عن القرآن في عصر ما قبل الثورة العلمية قد تمّ تجاوزه في معظمه. وليس صعباً نقد وتفنيد التراث السلفي والطعن به كأسهل طريقة وأرخص وسيلة للشهرة بل والكسب المادي. فلو أمسكت تفسير الطبري أو ابن كثير وأردت أن أستعرضه نقداً بتمامه فإنني سأقضي عمراً في ذلك ولن أستطيع أن أقدّم أي شيء آخر، ولا حتى ما أقوم به وأصل إليه يكون ذا أهمية تذكر. فطالب المدرسة يستطيع أن يفهم ظاهرة الرعد والبرق أو الجزر والمد فهماً علمياً لم يصل إليه علماء السلف. وهذا لا يصدق على التراث السلفي (الماضي) الإسلامي فقط وإنما كل التراث الماضي الإنساني سواء اليوناني (بعهديه) أو الهندي أو الصيني... إلخ. كنظرية المثل لأفلاطون، أو أن العبيد يولدون وهم بطبيعتهم عبيد لأرسطو، أو فكرة التقمّص والنرفانا، والحلول والإشراقات الصوفية والرهبنة الدينية: كل ذلك أصبح تاريخاً (نصياً) لمن أراد التخصص أو حب الاستطلاع.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

وهذا التراث انقسم إلى اتجاهين أساسيين بسبب انقسام المجتمع الإنساني إلى شغيلة وعبيد ورقيق وكادحين ومأجورين من جهة، وأسياد وإقطاع ورأسماليين من جهة أخرى. والأولى تمثّل العمل المنتج والثانية الملكية المخصصة. وهذا يصدق على تراثنا وإسهامنا الحضاري. ولذلك فإنه ينبغي لمن يتخصص أن يفرز ويميز بين ما يدفع للعلم والمعرفة والتطور والتقدم وهو تراث العاملين، وما يبعث على التقهقر والجمود والحفاظ على الواقع الراهن وهو تراث الملكية.

ولذلك فإن النظرة إلى القرآن تعكس صراعاً اجتماعياً (جمعانياً). كما أنه مما لا شك فيه أن هناك مبادئ وقيماً وحكماً وتعاليم لا تتقادم ولا تسقط، كما أن هناك ظواهر مشتركة أو عامة لا يحدّها زمان أو مكان، أو أمدية لأنها تستوعب عمر الأرض والإنسان كالتطور المعروفي (علم ومعرفة) وتحقيق الحياة الطيبة لجميع الناس والاتجاه إلى إنسانية واحدة وجماعية سائدة قائمة وأخوة في الدين واشتراكية في الدنيا، وهذا ما لمسته في القرآن حتى الآن.

وبالتالي فإن القرآن ليس نصوصاً؛ إن النصوص هي ما ثبت خطأه ويجب طرحه جانباً من تراث الأمم ما قبل عصر العلم

واعتباره مضى وانقضى وغدا تاريخاً وانتهى، وليس له قداسة ولا معصومية ولا كرامية، وهو من شأن المختصين بالتاريخ. ثم هناك ما يمكن الاستفادة منه ولكن يحتاج إلى تجديد وتواصل مع المعارف والعلوم الحديثة. وهذا ينبغي أن يخضع لغربلة وانتقاء ولكن لا ينبغي أن يمتص كل جهدنا إلّا بقدر الأهمية والفائدة لتقدمنا واللحاق بغيرنا. إلّا أنه مما هو خطير وخادع ظهور كتّاب ممن ينظرون إلى النصوص نظرة نصية مثل نصر حامد أبو زيد، ومحمد شحرور، والطيب تيزيني وغيرهم. لكن بيدي الآن كتاب (مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن) لنصر حامد أبو زيد، وكنت أتوقع أن أجد فيه أولاً وقبل كل شيء ماذا يقصد بالنص؟ وأمثلة على ذلك من القرآن. إن النص عند العامة هو كل شيء مكتوب فهل هذا هو معنى النص في ذهن الكاتب؟!

إن الطابع العام للنصوص هو أنها وصف أو تقريرات عن شيء مادي أو معنوي ثبت خطأه أو ما هو خطأ فيه – أي مدى صحته – كما قد يكون مسلمات وبديهيات دارجة ولكنها مضللة أو غير صحيحة، بل تشمل النصوص حتى الخواطر والتقاليد البالية ونصائح الآباء والأجداد، فهو يستخدم مفاهيم السلف نفسها وما ثبت زيفه من هذه المفاهيم وليس كلها. فهي تعكس نظرتين: حق

وباطل، خير وشر، حقيقة ووهم. وفي المقابل: ملأ ومستضعفون. فما هو موقف هؤلاء الكتّاب من الانقسام الاجتماعي والطبقي؟ إن موقفهم هو موقف الذين في قلوبهم مرض ومتذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. كما أنهم، بالنسبة إلى القرآن، يأخذون ما يقوله ويطرحه الفقهاء ورجال الدين من مئات السنين. ومن القوى الطفيلية المتسكعة على أبواب السلاطين والأثرياء، وحتى لا يكون كلامنا جزافاً إليك أمثلة على ما نقول وباختصار كبير لعلنا نجد العودة إليه لاحقاً.

- فاللوح المحفوظ يتصورونه حسياً وأنه موجود في السماء السابعة ومسجل به القرآن وكل كتب السماء، بل والكون برمّته، وهذا وهم لا حقيقة له، فالقرآن هو المحفوظ في لوح وهو الورق حالياً (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].
- الناسخ والمنسوخ في أدبهم آية أو آيات تلغي آية أو آيات أخرى، وهذا مسخ وليس نسخاً، فالنسخ هو وضع خيارات وبدائل أمام الإنسان.

---

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

- يضفون على التأويل منهج الاستبطان، وهو منهج خرافي لا علمي. فالتأويل هو تحقيق ما في القرآن وتطبيقه بالعمل والممارسة.
- الإسراء والمعراج خرافة. لا أساس لها من الصحة.
- المحكم والمتشابه يعني لهم الواضح والغامض. ويخلطون بين متشابه ومشتبه، ومتشابهات ومشتبهات.
- الأمي والأميون هم الذين لا يقرأون ولا يكتبون، بينما معناها الجماعي والجماعيون وهم المستضعفون الاشتراكيون. والأمية وهي الجماعية والربية، تعني عندهم الغفلة والجهالة. وهكذا بخفة جعلوا الرسول جاهلاً غافلاً.
- الشريعة، وهي منهج حياة ونظام إسلامي، حصروها في عقوبات سموها شرعية وألحقوا بها (حدوداً) بالمعنى الفقهي الزائف.
- أولو الأمر خلطوا بها ولي الأمر. فالأولى تعني أصحاب الشأن والكفاءة والتخصص. أما الثانية فهي صفة إيمانية بين الإنسان وربـه. وقد تتحقق الكفاءة مع التقوى

والإيمان، وهذا نادر إلّا في الشؤون الدينية. ونحن لا يعنينا إلّا الكفاءة والإخلاص وحكم الجماعة.

- والربا هو الفائدة وليس السحت والاستغلال الطبقي. والمرابحة الربوية لا تختلف عن الربا.

- والعمل الصالح عندهم العبادة من صلاة وصوم وحج إلخ وليس عملاً نافعاً للناس ومن الناس. وعلى قاعدة من لا يعمل لا يأكل فليس للإنسان إلّا ما سعى بمنطوق القرآن.

- والإحسان هو التكرّم والصدقة بقطع الفضة والنحاس للمعدمين والمتسولين، وليس إحسان العمل والإنتاج قبل أي شيء آخر والقضاء على الفقر، وليس التكرّم على الفقراء فقط.

- وهكذا أيضاً، فعندهم الخمار يعني الحجاب، والحق يعني الحد، والمال يعني الملكية، والرزق مائدة طعام. ولا نريد أن نستقصي أكثر من ذلك. ولكن تصور معي لو أزلنا كل ما تراكم على القرآن من ظلم وظلمات ألا يكون ذلك هو الجهاد الأعظم لرفع راية القرآن من جديد والعودة إلى إسلام العمل والعلم بدلاً من إسلام الملكية ورأس المال. وكلاهما قائم في تراثنا وتراث جميع الأمم والشعوب.

ثم لا يتردد الكاتب أن يقول إن منهجه هو (منهج التحليل اللغوي في فهم النص، والوصول إلى مفهوم عنه ليس اختياراً عشوائياً نابعاً من التردّد بين مناهج عديدة متاحة، بل الأحرى القول إنه المنهج الوحيد الممكن من حيث تلاؤمه مع موضوع الدرس ومادته). ولا أدري ما هو هذا المنهج المبتكر خصوصاً لفهم النص، ولكن عنوان الكتاب يوحي أن النص المقصود هو النص القرآني لأنه (دراسة في علوم القرآن) فهل هو مادة تعبير أو إنشاء لطلبة المدارس؟ أم هو المنهج الذي ينظر إلى علم الإنسان ومعارفه على أنه اصطلاحات لغوية يتفاهم فيها الناس وليس لها وجود في الواقع القائم أو لا تعكس واقعاً؟ بل ذهب اللاإدارية إلى القول إنه لا وجود لواقع أو أي شيء إنه عدم بما في ذلك وجودهم أنفسهم، ولكن لا أعتقد أن هذا مقصود الكاتب لأنها صعبة الهضم.

بقي بعد ذلك أن نقول إن فهم النص من النص وهذا يقتضي معرفة معاني الكلمات والصياغة لغوياً. ولكن هذه بداهة تنتج نصوصاً من كل نوع فهي أبجدة أو مطالعة على أحسن تقدير. ولكنه في الوقت نفسه يردد أهمية العلاقة بين النص والواقع في طول الكتاب وعرضه ولكنه يعرف ما يرفضه ولا يعرف ما يريد.

ولكن إذا كانت اللغوية ترتكز على فهم النص ألا يدعو ذلك

إلى الحرص على فهم المعنى؟ ولكن الكاتب، بدلاً من ذلك، يقفز إلى الديالكتيك، ويرى أن العلاقة بين المحكم والمتشابه علاقة جدلية (ديالكتيكية)، ولكنه يأخذ المعنى الفقهي الزائف. فكيف يصل إلى نتيجة صحيحة، أو استنتاج سليم؟ وهذا نوع من المنطق الصوري أو الشكلي الذي يربط النتيجة بالمقدمة وإن كانت المقدمة نفسها فاسدة أو باطلة. أليست هذه نظرة نصية إلى النص، وسفسطة يونانية تسلّلت إلينا وأثّرت في علم الكلام سلباً لا إيجاباً؟!

ولكن الدكتور أبو زيد يقفز إلى أعلى من ذلك إلى الفضاء الخارجي فيفقد وزنه ويستريح، فهو يشير إلى (ديالكتيك) هابط (في حين أن منهج هذه الدراسة بمثابة ديالكتيك صاعد) وهذا هو الاجتهاد. لكن يبدو أن الديالكتيك الهابط هو منهج الاستنباط الذي كان سائداً قبل عصر العلم، وهو يبحث في الماورائيات (الميتافيزيقا) وهو ما ميز الحضارة اليونانية، ويقوم على التأمل الذاتي والتصوّر والخيال، ولكن هذا لا يقلّل من شأن الحضارة اليونانية، فقد كانت مرحلة لا بدّ منها، كما أن التجريد الفكري قد صاحب هذه الحضارة وهو خطوة متقدمة نسبياً، ولكن على حساب المشاهدة والتجربة وقراءة الواقع، وهذا هو المنهج الاستقرائي.

لقد أدمجت الكنيسة في الغرب وخلطت بين الفلسفة اليونانية

الماورائية التي أطلق عليها الماركسيون اسم الفلسفة المثالية وهي تسمية أو ترجمة غير موفقة.

والأصح أن نأخذ بتعبير القرآن، وهو الفلسفة الظنية أو الفكر الغيبي، وأقل ما يقال فيه إنه استنباطي، وإن كان الاستبطان هو الغالب فيه. والقصد أن نقول إن الكنيسة الغربية أدمجت هذا الفكر الوثني بالمسيحية الرومانية وأضفت عليها طابع القداسة والرهبنة، وجاء القرآن فشرخ الفكر الصنمي - بل الأصح أن نقول إنه صنمية لا فكر أو فلسفة - ودان المناهج الظنية والاستبطانية واعتبرها باطلة حين فصل، بل وشق الصخرة الصماء بين عالم الغيب وعالم الشهادة أو بين الوهم والحقيقة والباطل والحق. فجعل عالم الشهادة والحضور والواقع الملموس هو موضوع أو مجال علم الإنسان ومعارفه، وأسقط حتى ذاته تعالى وكنهه وحقيقته من أن تكون موضوعاً لعلم الإنسان وفكره بل ودرايته، واعتبر ذلك تطاولاً لا طائل وراءه، لماذا؟ لأن الإنسان لا يملك وسائل أو أدوات أو مناهج علمية تؤدي إلى تحصيل وكشف أو معرفة بذاته تعالى، وإن كان هناك من يستجير بالعقل. ولكن هذا يستدعي ويتطلّب أولاً معرفة أو علماً بالعقل نفسه والذي يحمله كل واحد بين كتفيه، بل نحن لا نعلم سر الحياة في نبتة أو خلية حية.

إن المعروفية الإنسانية تؤدي إلى الاستدلال على وجود الله، ونقصد الوجود الذي أبدعه وخلقه الله، وليس الوجود الذاتي له تعالى أي كنهه المتفرّد به.. كما جاء في حديث قدسي (تفكروا في آياتي ولا تفكروا في ذاتي). ومن هذا المدخل يأتي الإيمان بالله. وكلما تقدم العلم الإنساني كان الإيمان أصفى وأنقى ولكنه ذو طابع شخصي بحت يتعلق بالمشاعر والإحساسات أو الضمير والوجدان، بل إن هذه الكلمات ليس لها عندي معانٍ محددة، ولا يمكن المقارنة بها بين إنسان وإنسان وإلّا لكفى شخص واحد يحمل حكمة الله ومراده، بل إن الناس لا يعرفون ماهية أو كنه بعضهم لبعض إلّا ما يظهر منها، وهناك من يشك أنه يعرف نفسه، إلّا أننا جميعاً قائمون في علم الله أحياءً وأمواتاً، أو في ذاكرة الله إن صح التعبير، ولكننا لا نعلم الأصل ولا الفصل ولا البداية ولا العاقبة ولا المسار بين هذه وتلك.

وبديهي أن من يتصدى للإسلام أو القرآن أن يفهم معاني الجمل والكلمات لغوياً، ولكن هذا ليس تحليلاً لغوياً وإنما هو تعبير ومطالعة وهو شرط لازم لكل نص وأي نص، ولكن علينا أن نفهم أن المعنى هو الذي يتبلور في عقل الإنسان ثم يختار له علامة أو إشارة أو رمزاً في صورة كلمة. والكلمة بشاراتها رسمة، ولا تزال الكلمات في اللغة الصينية رسوماً.

وبالنسبة إلى القرآن فإنه من الضروري النظر إلى المعنى اللغوي للكلمة في عهد نزوله، إلّا أن فضاء المعنى للكلمة في القرآن قد يتسع وهو الغالب، والمهم هو السياق أيضاً والمقارنة، ولذلك فإن القرآن يورد الكلمة الواحدة في عدة صيغ (آيات) بل الآية الواحدة كثيراً ما تتكرر في صور شتى، أو تأخذ طابعاً جامعاً، وهذا على ما أعتقد هو التصريف والتفصيل بل والتفسير وهو ما دعا المفسّرين والفقهاء إلى القول بأن القرآن يفسّر نفسه بنفسه. أو قول البعض إن القرآن كالدستور يحوي هو نفسه مذكرته التفسيرية، وهذا القول ليس جزافاً. فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[1].

وقد تحققت من ذلك بتجربتي الخاصة مع القرآن، فقد واجهت إشكالات سواء ما تعلق بالمفاهيم أو الفهم. وكنت أخوض بكثرة في التفاسير وما يسمى بعلوم القرآن أو ما كتب عن القرآن نفسه بأي شكل من الأشكال، وقد وجدت أن التفاسير ليست تفاسير أبداً، وإن كان بعضها سببه القصور أو المستوى المعروفي، إلّا أن منها ما هو تغطية وتشويه للقرآن بشكل مدبّر - كالأمثلة أعلاه - ولكني لا أشك في حسن نيات ما ذكرت من أسماء. وإنما يحز في نفسي

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

أن تذهب هذه الجهود سدى؛ فالدراسة في علوم القرآن ينبغي أن يسبقها دراسة القرآن نفسه، ولكن ليس بأيسر أو أقصر أو أرخص الطرق والجهد وذلك في البحث عما يناقض العلم في عصرنا الراهن من كتابات الأولين، إلّا إذا تمّ ذلك بهدف أو بغرض البحث عن بديل. كما أن تراثنا فيه – كأي تراث – ما هو تقدمي وموضوعي وعلمي، والذي أعطى حضارياً، قسطاً كبيراً لا يقل عن عطاء الحضارات الأخرى إن لم يكن يتفوّق عليها – أقصد حضارات ما قبل الرأسمالية – وإذا كانت الحضارة العربية الإسلامية قد انفتحت على الفلسفة والفكر اليوناني، فإن الحضارة الحديثة انفتحت في بدايتها على نتاج الحضارة العربية الإسلامية. وهذا ليس اجتهادي أو حكمي، وإنما مما كتب عن الحضارة العربية الإسلامية على درجات من الموضوعية والحياد وإن لم يكن تاماً. ولكن من الثابت أيضاً هو الطابع العنصري والطبقي في كتابات الكثيرين ومنها سافر ومفضوح وصل إلى حد القول بأن (تمنى) تعني (قرأ) والتي تلقفها سلمان رشدي ليجعل منها قصة كاملة أو كتاب «الهاجريون» الذي ينضح بالعنصرية والفاشية من عنوانه.

ولكن هل هذا يقل شططاً عن محمد شحرور وهو السبّاق إلى منهج التحليل اللغوي في دراسة القرآن بعد أن أمضى خمس عشرة

سنة في ذلك فلم يصل إلى نتيجة ورمى ما كتبه في المزبلة ثم وجد ضالته في المعاجم، وإذا به يرى العلم وكل العلم بالقرآن في هذه المعاجم وخصوصاً (معجم مقاييس اللغة). وبعد عشر سنوات فكر برميها أيضاً، ولكن بدلاً من ذلك أرسلها إلى دار النشر بعنوان (الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة)، وبالمنهج اللغوي اكتشف حقيقة مروعة وسراً دفيناً وهو أن الإنسان يحمل عقلين عقلاً رحمانياً وعقلاً شيطانياً، بعد أن أشار إلى أن القرآن يسمي العقل قلباً وهذا ليس من ابتكاراته على كل حال. وإنما ابتكاره هو نسيان قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾[1] ولكن من خلق هذين العقلين الله أم الشيطان؟ أم بالتعاون بينهما أم بالتسابق؟ إن علماء الطب وعلم النفس والتشريح والانتروبولوجيا لم يجرأوا أن يقولوا مثل ما يقول محمد شحرور، ولم يجدوا في المخ أي عنصر غير العناصر المادية وشيئاً عن خارطة الدماغ، ولكن كيف تنتج المادة عقلاً ووعياً وإرادة؟ إن العلماء حيارى أمام العقل الواحد فما بالك بالعقلين؟ ولو رأى العلماء أن ذلك شطط فماذا يقول محمد شحرور عن نفسه؟!!

إن الشيطان في القرآن هو المخادع والمضلل والمفتري

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

والخادم لملك المال والسلطة. والشياطين صنف من أصناف الناس تعمل على المكشوف. والمستترون منهم هم الجن والمنافقون والشرطة الخفية والبوليس الديني. أما الشيطان الذاتي فهو الجهل الذي يولد الحيرة والارتباك وعدم فهم الحقائق، فينقاد الشخص إلى التقليد دون علم، أو يقع فريسة للمسلمات والبديهيات الزائفة. وإبليس، لغة، هو الحائر مع نفسه والمجند لحساب غيره.

إن كل التراث البشري والفكر الإنساني هو نتاج العقل بما في ذلك التطوّر العلمي والمعرفي، وما شاخ منه أو ثبت خطأه اندثر وما هو معروفي تواصل واستمر.

والحقيقة أن كلمات عقل وقراءة ومعاصرة أصبحت موضة، كما أن الجدل تحول إلى دجل ولم يعد له معنى واحد شرقاً أو غرباً. إنه في جانبه قد حلّ محل الفكر الغيبي وتواصل معه. وقد جاء القرآن لأول مرة لكي ينقل الفكر الإنساني من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ومن الذهنية الخرافية إلى الذهنية العلمية والحكمية. إلّا أن التقدم والتطور مرّ عبر صراع دامٍ ومرير بين المعروف والمنكور، بين العلم والجهل، وهذا يعكس انقسام المجتمع إلى ملأ مستقوٍ بالملكية لوسائل العمل والإنتاج وجماعة مستضعفة لأنها مسلوبة الحق والقوة. ولكن، ولأول مرة في التاريخ، قدمت

الثورة الإسلامية نموذجاً لدولة الجماعة والجماعية. وطرحت أول ما طرحت مبدأ العتق والحرية مع اقرأ واقرأ، وعِلْم وعَلّمْ. (وعلم الإنسان ما لم يعلم). وهذه هي النقلة النوعية الكبرى في تاريخ البشرية، التي جعلت العلم والمعرفة مصدر كرامة الإنسان الذي أذلته الرأسمالية الإمبريالية وشريعة الملكوت الطاغي العنصري. وقد ضموا الأنظمة العربية القائمة إلى نادي الطاغوت العولمي وأسماه كبيرهم (الارتباط بالحركة الديمقراطية العالمية) ولتكن الكويت سايغون الثانية، وتحت مظلة الصليبية الصهيونية التي ربطوها بالتوراة الشريفة والإنجيل الطاهر. ولكنهم لم يتمكنوا من القرآن وهو مخزون الدين الحق لرسالات الرسل والأنبياء وسجل لثورة بدأت بشخص واحد وخمس آيات وتدعو إلى الحكم بالعلم بدل الجهل. وقد أعفانا الزمخشري من طول الكلام عندما قال: (الحكم حكمان حكم بعلم وهو حكم الله، وحكم بجهل وهو حكم الشيطان). إلّا أن الملأ الديني المرذول قد عمّم الغفلة للناس بجهد منظّم ومدبّر في الثلاثين سنة الماضية التي دعوها (صحوة)، ولكنها صحوة الغفلة والتجهيل بالقرآن الكريم وبالعلم. والغفلة هذه قد شملت الإنسان وأي إنسان شرقاً وغرباً بمن في ذلك إنسان الغرب. ثم أعلنوا عبر كل وسائل الإعلام الجبارة، بما في ذلك مناهج التربية والتعليم المباشر في جميع مستوياته، الخضوع

لسلطة القانون وجوهره (القانون لا يحمي المغفلين). والدعوة للديمقراطية وجوهرها (لك الحق أن تلعن نفسك والآخرين). وللعالم المتأخر اقتصادياً تعويذة تنص على (حرية الموت جوعاً) في شريعة صندوق النقد والبنك والوكالة الدولية الإمبريالية. ولكن من يصوغ القانون؟ وديمقراطية من هذه؟ الجواب الممتاز هو ما أعلنه رئيس مجلس الأمة الكويتية (أن الكويت هي الدولة الشيوعية الوحيدة في العالم) في الوقت الذي بلغت تركة أبيه ٥ , ٤ مليارات دينار، وفي قيمة الدولار اضرب الرقم بثلاثة. والمقابل له في مجلس الحكم يرى أن الأزمات والفساد سببهما الحسد.

فهل هذا حكم العلم أم الجهل؟ حكم المال أم العمل؟! ومهما كان الجواب، فإنه لا بديل للعودة إلى الدين الحق وإسقاط الدين الباطل، والمسلمون دينهم الحق مصون في القرآن ولكنه في مصيدة ملك المال. وهذا يعني أولاً حتمية تحرير القرآن ولغيرنا اشتراكية الأديان. لنحيَ (أخوة في الدين واشتراكية في الدنيا) كما قال العالم محمد الغزالي ونحن في غنى عن رجال الدين الباطل، بل لا بدّ وأن نطيحهم ونرفع وصايتهم على القرآن والإسلام وضمائر المؤمنين بالله. إن أبرز علاقة بين الرأسمالية المتوحشة وأنظمة الحكم القائمة هي الاستفزاز والابتزاز، وما بين شارون وصدام، وهي نابعة من طبيعة النظام القائم على تقديس ملك المال وقهر الشعوب والعودة

إلى الاستعباد المباشر والاحتلال، وهذه سياسة استراتيجية ممتدة ومداها الحديث أكثر من ٢٠٠ عام. ومع ذلك يطرح عباد الملكية الشطار، وفلاسفة الدول الخليجية الأبرار أنهم قد أسقطوا نظرية المؤامرة في مقابل الدينار. ولو كانت القضية تنحصر بمؤامرة لهان الأمر. إنها قضية الفساد في البر والبحر واستعباد شعوب برمتها ونزف من الدماء لن يتوقف إلّا إذا توقف تاريخ الملكية. فالله تعالى يقول: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]. ولكن النصر يأتي بشروطه وأسبابه ويقظة العالم بجميع شعوبه وقواه، كما أن المواجهة يجب ألا تكون بتفجيرات هنا وهناك أو أسلوب الثأر والانتقام الذي برمجوه وصنعوه للاستفزاز المطلوب وسمّوه «إرهاباً». وأما الابتزاز فقائم على قدم وساق. فمن حكومات إلى مجالس حكم ومن سيادة إلى أختام ومن سلام وأمان إلى حروب ودمار.

إن العالم كله يبحث عن بديل وعن معنى للحياة وللمصير ونحن بحاجة إلى التأويل الذي يوصلنا إلى المآل المحمود والعاقبة المرجوة وليس الردة إلى عالم الأموات، فتكون عاقبة أمرنا خسراناً إن لم تكن قائمة فعلاً.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

وتأويل القرآن، أي تحقيقه أو تطبيقه بالاسترشاد به والسير على هداه هو ما يرعب رجال الدين وكهنة الأديان، فقالوا التأويل هو الاستبطان للوصول إلى المعنى السبعين للكلمة في القرآن، وإن في القرآن مخارق لسنن الله ونواميسه، وسموها معجزات. وبالتالي فإن العقل لا حول له ولا قوة لأن العقل والعلم قائمان على انتظام وثبات السبحان (الوجود) على أساس العلة والمعلول والحكمة والأثر والأولى للعلم والثانية للمعرفة، ولو كانت المشكلة لغوية لا أكثر لكفى تفسير واحد وانتهى. وستكون الأرجحية لأقدم تفسير وأقدم لغوي، والحقيقة أن هذا الكم الهائل من التفاسير الغاية منه إحلال التفاسير محل القرآن بسوء نية أو حسن نية لأن القرآن كتاب ثورة وتقدم ونظام إلّا أن رجال الدين حوّلوه إلى اعتقادية جامدة خامدة وعقلية صلبة صلدة (كجلمود صخر حطّه السيل من عل).

إن ما هو واجب ومطلوب ولا بديل له هو فهم القرآن. والفهم هو الفقه ولكن الفقهاء انحازوا قليلاً قليلاً حتى ثبت الفقه عند مستوى الأولين (الماضين). وتجرد شيئاً فشيئاً حتى أصبح قوانين وعقائد وقواعد للعبادة والقداسة، تأمر بالمنكر (الجهل) وتنهى عن المعروف، واختزلوا الشريعة في حدود سموها شرعية وربطوها بعقوبات ما أنزل الله بها من سلطان كالرجم وقتل المرتد بمفهومهم والضحايا هم أمثال آغاجاري ومحمود طه.

والحقيقة إن أي تفسير - إذا كان لا بدّ منه - ينبغي أن يكون ترجماناً للقرآن تماماً كالترجمة لأي كتاب من لغة إلى أخرى. فلا يجوز التصرف فيه بأي إضافة أو نقصان. والغاية منه تسهيل فهمه وتدبره وتأويله (تحقيقه في الممارسة) والأخذ به كنظام (شرعة ومنهاجاً). وذلك وفق الطريقة نفسها في الترجمة. فهل يقبل أي مؤلف أن يضاف له أو يحذف منه ولو جملة أو حتى كلمة. فهذا تلاعب بكتاب الله يصل إلى حد السخرية والضحك على الله حسب مبدأ (الحيل الفقهية). فبأي حق الكلام في التفاسير عن البراق والمعراج وعذاب القبر والمسيح الدجال. بينما لا ذكر لأي شيء من ذلك إطلاقاً في القرآن. فكيف نسمي ذلك تفسير القرآن؟ بينما هو خرافة ودجل وتحريف.

لكن إذا كان رجل الدين يريد أن يكتب أو يتناول مواضيع هنا وهناك - كما أنا أكتب الآن - فهو حر ولينشرها كما يشاء بأي وسيلة، ككتاب أو مجلة أو تلفاز على أن لا يدّعي أن هذا تفسير وعلم بالقرآن. إن الله يدين وأول ما يدين تحريف كتب السماء وهو الحاصل الآن. إنها جريمة لا تغتفر، كما يذكر القرآن إنهم زناة الدين وكتب السماء والقضاء عليهم من الأولويات.

نعم، نحن محتاجون إلى فهم القرآن ولكن عبر شرحه

وتوضيح ما هو قائم فيه وليس ما هو دخيل ومفترى عليه. إن القرآن ينبغي أن يكون موضوع دراسة، والهدف المعاني وليس الاستبطان، تماماً كما يدرس كتاب في أي علم وموضوع وعلى المدرّس الشرح والبيان. ولكن مع عدم الخروج أو الإضافة من عندياته والطالب مسؤول عما في الكتاب أو المقرر والمادة وليس عن شطط هذا وذاك.

إن القرآن كتاب واحد فيه ٦٢٣٦ آية. فكيف يفسّرونه في مجلدات من العشرين والثلاثين مجلداً، والحقيقة أنه كلما زادت التفاسير زاد الجهل بالقرآن.

وحتى عند تدريس القرآن – إن ظهر إشكال – يقول المدرّس الله أعلم. وإذا كان حريصاً على فهم وتفهيم القرآن فليبحث وينقّب في القرآن لفهم تفسير الله لكتابه، فإن اهتدى إلى المعنى كان بها ولا مانع أن يطلع أكثر وينظر في ما يكتب وينشر في ذلك قديماً وحديثاً.

والحقيقة إن التفاسير الموضوعة هي أدب تفسيري أو فكر تفسيري يظهر أثر القرآن في الفكر والفلسفة العربية والإسلامية. وإن كان فيها فائدة فمن شأن المتخصصين في التاريخ التفسيري، ويستعان بها بدرجة أو أخرى لشرح وتدريس القرآن. والجامع كان

مدرسة للعلم والقرآن (ما جلس قوم في المسجد يقرأون القرآن ويتدارسونه إلّا ونزلت عليهم الرحمة). والرحمة هي الاهتداء إلى معرفة وفهم بالقرآن - ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1]. و(بمثل) أي بإشكال أو لبس أو قضية أو موضوع في القرآن.

والحقيقة إن الصحابة في عصر البعثة كانوا يفهمون التأويل كالمقابل للتفسير بمفهومنا الآن ولكن ليحكموا القرآن في حياتهم وإدارة مجتمعهم المسلم، ولم يقولوا إن كل آية أو كلمة تحمل عدة معانٍ من السبعة إلى السبعين، ولو كان الأمر كذلك فكيف يدعو الله لتحكيم القرآن في الشؤون العامة للاجتماع الإنساني في أمده المقدر مكاناً وزماناً.

والواقع أن كل منطوق القرآن (سواء كان كلمة أو آية) لها معنى واحد ووحيد ولكن يجب أن نفهم أن هناك آيات متكاملة، وهو التشابه، وهناك تكرار في الآيات للتصريف والتوجيه، وهو في الحقيقة ترابط وتواصل وليس تكراراً، بل حتى الكلمة الواحدة توضع في عدة صياغات للإلمام بمعناها. وكل ذلك في سبيل تأويل أو تفسير القرآن عند الأخذ به وتطبيقه في الواقع الموضوعي

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

الملموس، وبما أن هذا الواقع متشعّب ومتعدّد وقائم بالكثرة والتنوّع، ومع تطوّر وتقدم المعروف من مرحلة تاريخية إلى أخرى فإن المعنى الواحد والوحيد لا يتكشّف دائماً أو للمرة الواحدة وانتهى، وإنما علينا أن نتطوّر ونرتقي بمستوى فهمنا للقرآن وبشكل متجدّد، فقد نكون في منتصف المسافة إلى المعنى المقصود والمحدّد، أو يمكن أن نكون عند تلمّس المعنى أو الاتجاه إليه. أما المعنى أو الفهم عند مستوى الصفر فهو غيب للإيمان لا للمعروفية الإنسانية، وهو أمر شخصي بحت. ولكن ما هو غيب قد ينتقل إلى دائرة العلم والعرفان بهذه الدرجة أو تلك مع تقدم البشرية. كما يقول ابن عباس: (إن في القرآن معاني سوف يفسّرها الزمن). بل إن الله جل شأنه يقول: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وصحيح أننا لا ينبغي أن نأخذ المعنى لآية أو كلمة في القرآن بما يظهر لأول وهلة. وإنما يجب أن نتمعن ونتعمق في المعنى والمقصد في ضوء المستوى المعرفي المعاصر. ولكن ينبغي أن نبدأ بما هو ظاهر من المعنى لا بالهروب بعيداً عنه كما في الاستبطان الزائف. إن القرآن ينبغي أن يكون ضابطاً لحياتنا وهو

---

(١) سورة النمل، الآية: ٩٣.

في مجمله واضح وبيّن. ولكن تركناه مهجوراً فجهلناه وقدمناه، ولانزال، في تفاسير عفى عليها الزمن أو تباعدت عن فقه (فهم) القرآن ومعانيه أو التشويش عليه ما أمكن لقلب أو لطمس الحق فيه. من المشركين بالله في ملكه وما وهبه لعباده جميعاً.

إلّا أن أخطر عداء للقرآن هو، كما أشرنا سابقاً تغيير معاني كلماته. والتصدي له هو الدور المفترض أن يقوم به ما ذكرنا من الكتّاب وخصوصاً أبو زيد الذي يتمسك بالتحليل اللغوي فإذا به يأخذ المعنى من التفاسير بدلاً من أن ينظر في القرآن نفسه – لكنه مع الأسف – وصل إلى حد أنه وضع عنوان أحد كتبه (التكفير في زمن التفكير). إن التكفير في القرآن هو محو أو إزالة الكفر بتقديم كفارة (وسمي التفكير إيماناً لأنه طاعة) فهل هذا ما يعنيه أبو زيد أم العكس، أي الحكم على شخص أو جماعة بالخروج عن الدين.

يتبين مما تقدم كم نحن بحاجة إلى وضع القرآن في صورة معانٍ وشروح وتوضيح دون خلط أو انحراف عن المعنى، أو أن يضفي أو يدخل الفقيه رأيه الخاص أو مذهبه، فلا مذهبية في القرآن أو الإسلام.

ولم يكن المسلمون في عصر البعثة بحاجة إلى معرفة معاني القرآن لأنه عموماً ليس فيه كلمات كثيرة غير دارجة. كما كان

الرسول حاضراً بينهم. أما نحن فنواجه كثرة من المفردات غير السائدة أو السارية، فضلاً عن أن تقدم العلم والمعرفة يعمّق ويوسّع من معنى الكلمة أو الآية. كما أنه يفتح باباً واسعاً للاشتقاقات اللغوية واستنطاق المعنى. وهذا ما نحن بحاجة ماسة إليه بدلاً من التفاسير التي تحوط القرآن بالأسوار الشائكة من كل عقيدة ومذهب.

فأنا عندما أريد أن أتناول موضوعاً اقتصادياً ولست متخصصاً في اللغة العربية، وأنا أبحث عما يتعلق به في القرآن ولكن أجد صعوبة، أو بحاجة إلى استفسار فأذهب إلى التفاسير للحصول على المعنى القرآني فأجد خليطاً من هنا وهناك يعكس رأي واقتناع المفسّر بل وقصصاً وحكايات وما ليس له أي ذكر في القرآن مثل اللوح المحفوظ أو البراق. فهل هذه التفاسير ترجمان حقاً للقرآن؟

إننا بحاجة إلى بديل عن الأدب التفسيري للناس العاديين، ومن يرد أن يذهب إلى التفاسير فهو حر ولكنها ليست قرآناً.

وقد أخرج لنا رجال الدين (الفتوى) - إضافة إلى ذلك - ولا أدري كيف ظهرت؟

لقد كان الرسول حكماً أو محكماً في الخصومات والنزاعات العامة، وفي الأمور الشخصية - التي لا تتعلق باثنين أو أكثر - فكان الرسول يجيب عن أسئلة الناس ويشرح لهم التنزيل، كما أن الناس

كانت تتوجّه إلى بعض الصحابة الذين لديهم إلمام أكثر بالقرآن والإسلام على قاعدة (الدين النصيحة).

إننا بحاجة إلى بديل يسعفنا مما نحن فيه ويقدّم رؤية جديدة إلى الحاضر والمستقبل. ولدينا كتاب متواصل مع الثورة الإسلامية الكبرى ومجدد في أمور ديننا ودنيانا. أما أن نقف عند عتبة الزمن مسمّرين ونلقي الكلام على عواهنه كالقول إن حضارة اليونان عقلية والحضارة العربية الإسلامية (نصية). فإن نصر حامد أبو زيد يلبس لباساً ليس على مقاسه، وقد وصل إلى هذا الحكم من نظرات مسبقة في كتاب يدلّ على جهل صاحبه.

إننا اليوم بين موقفين من التراث، فهناك من يهرب إلى التراث وهناك من يهرب من التراث. فلنترك كل ذلك وننظر كيف نصنع لنا نحن تراثاً للأجيال القادمة وللحاضر القائم بالعلم والعمل، وليس إضافة منبر جديد بالنظرة النصية إلى النص.

تأملات للصلاتين في القرآن

الصلاة عبادة مشتركة أو عامة بين جميع الأديان، ترتبط ببحث الإنسان عن الغاية أو الحكمة والمعنى لهذه الحياة الدنيا. وقد ربط الناس مع فجر التاريخ العبادة والتقديس بالخرافة وانتحلوا مللاً وعقائد ونظرات شتى، ويبدو أنها ظهرت مع ظهور الملكية المخصصة في التجميعات البشرية، وبالتالي تكون شرذمة أو فئة قليلة من بضعة أفراد يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ويعتمدون في حياتهم على سحت وإقتار الشغيلة الكادحة. ولما كانت أدوات ووسائل العمل بدائية، كالعصا والحبل والحفرة والحجارة، فقد أصبح الإنسان نفسه في محل ملكية، فكانت العبودية هي الشكل الأول لظلم الإنسان لغريمه الإنسان، وأداة هذا الظلم هي الملكية الحصرية (السطو البدائي) على مقوّمات الحياة البدائية، ومع التطور برزت الهيمنة السيادية (سيادة المالك) من ناحية، وعبودية البشر من ناحية أخرى، ما أدى إلى انسلاخ الأسياد من جسد

المجتمع كشرذمة سائدة ومنشقة عن الجماعة البدائية المشاعية. إلى أن ظهرت بوادر التجمّعات القروية وتشكيل المدن ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾[1]، ويفسدون أي يغتصبون دون وجه حق، أي دون اشتراك في السعي لتدبير وسائل العيش عند حد الكفاف قياساً على نمط الحياة آنذاك. وهذا راجع إلى أن العمل والشغل تقدّما قليلاً على المشاعية البدائية نحو المشاعية المجمعة التي صاحبها عمل منهك ومشقة جسدية في الصراع الضاري بين الناس المعدمين وقوى الطبيعة، بين الأيدي الدامية، وانتزاع فضلة مما يكد ويكدح في سبيله الشغيل الهائم ويتلقفها الأسياد. وقد قامت الحاجة لتبرير اغتصاب المنتج مما يتدبّره من خيرات الطبيعة في شكل نظرات دينية وادعاءات سحرية وتصورات خرافية كانت بذوراً للوعي الهابط والضلال الجائر والمحاجة بين الأقوياء والضعفاء. وكان ذلك بداية ادعاء الشرك في ملك الله وخيراته التي أحفى بها الناس جميعاً على قدم المساواة ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾[2]. فكل إنسان له حقوق ثابتة في عطاء الله، فضلاً عن حقه في نتاج عمله. إلّا أن التطور

(١) سورة النمل، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ١٠.

سار في اتجاه الانقسام الاجتماعي مصحوباً بظهور الملكية بهذه الدرجة أو تلك في شكل بسيط وتفاوتات محدودة، ما لبثت حتى أدّت إلى العبودية فالقنية فالاستعباد المنظّم للرأسمالية الإمبريالية التي أصبحت ظاهرة داخلية وخارجية، ولم يعد نطاقها شاملاً للبلد الواحد وإنما تجاوزه إلى بسط الهيمنة لقلة من الدول، أو حتى دولة واحدة، على مصائر الشعوب ومقدراتها واستعباد البشرية المستضعفة في الدول المتأخرة.

وهكذا سارت قافلة الظلم وأداته التملك والاستعباد. وإذا كان الرق قد انتهى بوصفه امتلاكاً للعبيد، فإنه لا يزال باقياً بوصفه نظاماً طبقياً جمعوياً في أكثر الدول المتطورة. وإذا كان قد تحقق شيء من الاستقلال بالدم والنار لشعوب العالم فإن الاستكبار الامبريالي قد استدار مرة أخرى ليطبق على أنفاس الشعوب المستضعفة بعد سقوط المقابل له والنقيض.

هذه المسيرة المأسوية الدموية من الظلم والاستعباد والهلاك والخراب وطوابير الموتى من الحروب والطغيان وصهر جماجم الأطفال بقنابل ثقلها سبعة آلاف كيلو غرام. ووسط هذا الحطام والأكام تتفتح الورود، بنعمة العقل والإيمان، شيئاً فشيئاً، لإنجاز أمانة الله وعقد الاستخلاف بالعمل والعلم، وتخليص الإنسان

من العرضية (الملكية) فهي إلى زوال. ولا يبقى إلّا كسب اليد وما أفاءه الله على العباد في عقد الاستخلاف ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. فسوف تسقط أداة الفساد وسفك الدماء وركام الحياة الدنيا ألا وهي العرضية الملكية ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾[2] وخير كثير للناس. أما الله فغني عن العباد ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[3]. ولكن الله لا يحب لعباده الظلم والضلال. ولو استقام الإنسان من نفسه، وأقام حياته على أساس متين من الحق والعدل والرحمة، لما أرسل رسلاً وأنبياء وكتباً ورسالات وغير ذلك. ولكن ظهر فيكم الظلم والحرمان وخنق الإنسان وسائر أنواع التعذيب والعذاب من القلة الطاغية الباغية للأكثرية العاملة الشقية. فكان لا بدّ من محاسبتكم دنيا وآخرة، وإحقاق الحق ومحو الباطل، إلى أن تستقيموا لربكم. فلا شرك في العبادة، ولا ادعاء الشرك بملك الله للناس والجماعة. ليحي كل إنسان حياة طيبة، بما قدّمت يداه من صالح الأعمال،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣١.

بالعمل والإنتاج، لا بالتملّك وقص الكوبونات والأخذ بالدين الباطل وظلم العباد وإزهاق الأرواح المستمدة من رب العالمين. ولولا ذلك لتركناكم وشأنكم ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[1] محاسبتكم على ما ارتكبت أيديكم من خير أو شر. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[2] وقوله الحق أما أديانكم وعبادتكم (دعاؤكم) فهي الباطلة والباطل أشتات وخسران، وحيونة ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[3].

الصلاتان

فالله حين يكلفنا شيئاً، فإنه لا يكلفنا لغرض أو منفعة تعود عليه، ولكن لنفع عائد إلى المكلفين الممتثلين أمر الله، والساعين إليه بالشكر والإيمان السليم ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[4] ولكن الله عادل حكيم، لا يساوي بين العمل الصالح والظلم الفادح.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

(٢) سورة التين، الآية: ٨.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٧.

والحقيقة أن كلّ دين قائم وثابت بالحق المبين، يقابله سراب باطل من أوهام وتحريفات الملأ الشائن، وما نراه الآن إنما هو الأديان الباطلة في صورة يهودية (صهيونية) ومسيحية وإسلامية مزيفة للأديان السماوية والأديان الحقّة الأخرى لا أديان الصالونات. ونسوا المذاكرة (الذكر) وما يستتعبه من توحيد كامل لا خضوع فيه لغير الله، وإخلاص شامل وتام في العمل والإيمان.

الصلاة في الإسلام - كما هي الحال في غيره من الأديان - هي العبادة الأساسية. ولكنها تقع في دائرة الإيمان أي تقوم على الحرية الشخصية بلا إجبار ولا إكراه، إلّا الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]. وهذه أول دعوة إنسانية جامعة في التاريخ، تتقدم أشواطاً عبر الزمن البشري عما يسمونه اليوم بالديمقراطية (الجمعوية). والديمقراطية التعددية (التعديدية) شعارهم والجمعوية هدية لهم وبارك الله فيهم.

ولكن هذا لا يعني أن الإيمان ليس له أثر في ميدان العلم والعمل. بالعكس فهو يمد المؤمن بالوقود اللازم للممارسة اليومية. ويدفعه دائماً نحو الآمال الإلهية والتطلعات الإنسانية والثقة بالنفس.

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

كما أن الصلاة كعبادة لها دور ووظيفة في حياتنا حيث إنها تنهى عن الفاحشة والفساد والجهالة (المنكر). وتنشئ الشخصية المؤمنة الصالحة التي ترعى حق الله، أي حق الجماعة الخيرة من جهة، وضمان حق الفرد من جهة أخرى، ولذلك ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[1]. أما المكذب الطاغي أو الجاهل الباغي فلا إيمان له. فالكذب والافتراء لا يلتقيان مع الإيمان. والادعاء الباطل زيف وبهتان، والإيمان صدق وإخلاص ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[2]. فأعرض عن الحق لما جاءه وما كان له إيمان صادق ولا عمل صالح ويحيا هملاً ضالاً بلا اهتداء ولا غاية في حياته الدنيا.

إن الصلاة إذا لم تأت اختياراً وطوعاً فإن السجود والانقياد والخضوع لأمر الله جارٍ على كل الكائنات العاقلة في هذا الوجود الرحب ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[3]. و«من» في الآية تشير إلى المخلوقات المدركة والواعية المنقادة لأمر الله صباح مساء طائعين إن كانوا مؤمنين

---

(١) سورة الأعلى ، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٥.

وإلّا فمكرهين بالخضوع والاستسلام لإرادة الله وحكمه. والغدو والآصال، هنا، يتعلق بالصلاة التقليدية الجارية. وهما طاعتان في الحقيقة وليسا فرضين. أي بدون جبر أو إكراه وإنما مسألة طاعة. والصلاة هذه هي المقصودة في قوله تعالى ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[1].

وقبل أن نمضي بالموضوع، فإن الملالي يتلاعبون بكلمة الوسطى وكأنها وسط حسابي أو منتصف الشيء. وبالتالي فإن الصلاة لا بدّ وأن تكون أقله ثلاث مرات، في اليوم الواحد. ثم تكرّم الملأ الديني المرذول وأضاف إليها طاعتين (فرضين)، فأصبحت خمس صلوات (بالمكرمات) في اليوم الواحد. فما مدى مبلغهم من العلم؟!

إنهم أولاً أعطوا، أو اعتبروا الصلاة الوسطى هي الصلاة المفضلة على غيرها. لكن، لماذا؟

لا جواب عندهم إلّا تخمينات باطلة وظنون واهية، وتعديد محاسن الصلاة المدعاة بالوسطى، عند هذا المذهب أو ذاك. وغدت الصلاة الوسطى محل مزايدة ومكاثرة وثرثرة. والحقيقة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

أن الوسطى هي مؤنث الأوسط كما أن اليسرى هي مؤنث الأيسر والحسنى مؤنث الأحسن. وبالتالي فإن الوسطى تعني الأكثر توسطاً، وهو معنى مضطرب والأصح أن نقول إن الوسطى تعني الصلاة الأكثر اعتدالاً واستقامة. وليس بمعنى منتصف الصلوات وهذا يتماشى مع تكملة الآية: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾. وأكثر من ذلك، فقد استخدم القرآن مفهوم الوسط، بمعنى الاعتدال في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[1]. و«وسطاً» تعني معتدلة وعملانية في إيمانها وشرائعها ورسائلها، فما هي الحكمة، بالنسبة إلى الإنسان، من جعل صلاة أفضل من صلاة أخرى؟! وما هي الحكمة في أن تكون هذه الصلاة المفضلة على غيرها مجهولة لنا؟! فهناك أكثر من رأي ورأي. فبعضهم يختار الفجر أو غيرها من غيره. وقد اتفق أكثرهم الآن على أنها صلاة العصر بدون حجة أو برهان. والأدهى من ذلك أنهم اصطنعوا قصة مسلية للأطفال في كيفية فرض الصلاة. بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك، وهو المس بالذات الإلهية حيث جعلوا فرض الصلاة وكأنها صفقة تجارية فيها أخذ ورد ومساومة وابتذال. وقد اقترفوا من كتب اليهود ما شاءوا – وهي المجسمة لله والمشبهة له

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

بالإنسان – وشحنوا وكدسوا المجلدات بأساطير وحكايات حول قصة وهمية وخرافية مما عرف بالإسرائيليات. ومنسوبة إلى يعقوب (إسرائيل) الذي يدّعي الحاخامات من رجال الدين اليهود أنه قد أسري به إلى السماوات العلى، واعتبروا ذلك أمراً يشرف نبيّهم فراح الفقهاء المسلمون يتسابقون بالباطل مع الجبت اليهودي، فاختلقوا قصة «الإسراء والمعراج» وكما أن اليهود ادّعوا أن الذبيح هو إسحاق فإن الجبت الإسلامي يدّعون أنه إسماعيل. وكما يروي الحاخامات بالمعجزات لموسى، راح رجال الدين الباطل من المسلمين يختلقون المعجزات لمحمد (ص) وليس في القرآن شيء أو ذكر إلّا عن الآيات البيّنات التي يرمز إليها بالمحسوسات في صورة قصص وأمثلة. إلّا أن الملالي لا يفهمون من معنى آية إلّا أنها معجزة. وهي كلمة لا ذكر لها في القرآن إطلاقاً. ولو اعتبرنا القرآن معجزة فلا حول ولا قوة للعقل بها. وهذا ما يريده الملالي لإخراج القرآن من حياتنا واعتباره حكراً لرجال الدين المشعوذين وكثير منهم مندسون لتخريب الدين الإسلامي كما خربوا ديانة موسى والسيد المسيح (سلامه علينا).

وهكذا يتآمر رجال الدين في مختلف الأديان على إحلال الدين الباطل محل الدين الحق خدمة لأسيادهم من الملأ الجمعوي

(الطبقي) وتقديس العرضية (الملكية) محل تقديس الله جلّ جلاله ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وهكذا غلفوا القرآن والإسلام بالدس والكيد من قبل أعداء الله والإنسان والخيانة المأجورة من الملأ الديني المتحالف مع أسياد العبيد والإقطاع والمافيا البوشية على قمة الاستكبار الرأسمالي الإمبريالي، والعولمة.

ومن الكذب والتلفيق خلق الملالي انطباعاً عاماً وكأن الصلوات الخمس مذكورة في القرآن، وإذا اضطروا قالوا: إن القرآن لم يحدد فروض الصلاة سواء عددها أو أوقاتها، وإنما بيّن الرسول ذلك. وفي الوقت نفسه يرون أن الصلاة فرضت ليلة المعراج. وهي حكاية مضطربة تتناقض مع العقل والمنطق، وقد نالت من قدسية كتاب الله (القرآن) ومن الإسلام ككل وليس قصة الصلاة فقط. والهدف منها تشويه الدين الإسلامي وتخريفه وطمس حقائقه القائمة في القرآن. وتلك الأسطورة الشائعة والمعروفة التي يردّدها كهنة الإسلام ليل نهار ألا وهي المعراج الذي ليس له أي ذكر في

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠.

القرآن. وإذا كان الإسراء والمعراج كما قيل في الليلة نفسها فلماذا لم يرد ذكره في سورة الإسراء؟ هنا لا يجد رجال الدين إلّا الكذب والافتراء عندما يقولون إن المعراج ذكر في سورة «النجم». ولكن هذه السورة تشير إلى نزول الوحي مرتين ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾[1]. والمرة الثانية ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[2]. فأي المرتين تقصدون؛ فإذا كانت **الأولى** فإن سورة النجم نزلت قبل سورة الإسراء. وبينهما ٢٥ سورة. فكيف حصل ذلك؟ أي أن يكون الإخبار عن المعراج سابقاً للمعراج نفسه. ولم يتجرأ أحد أن يقول ذلك سوى المخادعين من رجال الدين والمغفلين من الناس بلا أمر بالمعروف ولا نهي عن المنكر (الجهل) لو كانوا صادقين (مؤمنين) في دعواهم.

أما إذا كانت **الثانية** فإن جنة المأوى تطلق على بستان في واحة صغيرة خارج أحياء مكة. وفي ركن منها شجرة السدر الذي ينبت في أي تربة ولو رملية. وثمر السدر لا يسمن ولا يغني من جوع. فجنة المأوى في الأرض لا في السماء، أما الجنة والنار

(١) سورة النجم، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٢) سورة النجم، الآيات: ١٣ - ١٥.

في الآخرة فلم يخلقا بعد، حسب القرآن، إلّا بعد طيّ السموات والأرض ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[1]. والإعادة من مستوى أرقى وأوفى وأطيب ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ﴾[2]. ويذكر بعض الكتّاب المسلمين أنه كان يوجد في هذه الجنة مسجد أو مصلى. والظاهر أن الرسول كان يتردد إليه بين فترة وأخرى، وينزل عليه فيه الوحي بآيات الله ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[3] ويمضي الملأ الديني إلى مشهد مسرحي آخر من قصة الإسراء والمعراج الوهمية والدجلية. فعندما كان الرسول يتنقّل من سماء إلى أخرى وقابل في كل سماء نبياً من الأنبياء حتى وصل إلى السماء السابعة بعد أن شاهد في كل سماء أحوال أهل الجنة وأهوال أهل النار، مما لا داعي إلى ذكره لأنه يثير الغثيان والضلال، سوى أنهم اعتبروا السماء السابعة مقر الله ومكتبه الخاص. ولكن ما مبلغهم من العلم عن السموات العلى؟ ثم إن هذا الكون ليس فيه ما هو أسفل أو أعلى، ولا جرم لو تكلم السلف قبل عصر العلم بذلك، لكن ما شأن الملالي في أيامنا الجارية علينا الآن، لشحن

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

(٣) سورة النجم، الآية: ١٨.

عقول الناس بكل باطل وزائف للقضاء على كل ما هو حق وثابت. أفلا يخجلون ويخرسون عن المس بذات الله العلية بعد أن جعلوا قبلتهم «البيت الأبيض» وعقيدتهم العرضية (الملكية الظالمة).

لقد هدتهم عقليتهم المريضة إلى أن الله فرض خمسين صلاة في اليوم الواحد. فخاب أمل الرسول، وعندما قابل الرسول (ص) موسى قال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك. وتمضي الرواية إلى أن الرسول (ص) أخذ يتردد بين الله تعالى وموسى فكانت الصلاة أربعين ثم ثلاثين، ثم عشرين، فعشراً فخمساً. بعد ذلك قال الرسول (ص): لقد استحيت من ربي. وبهذا أصبحت الصلاة خمس مرات في العمل وخمسين في الأجر.

ويرى عبد الكريم الخطيب[1] أن هذه الرواية تبرز دور موسى، في شأن هو بين الله تعالى ومحمد (ص). فيقول: إن هذه القصة تجعل لموسى، ما يشبه الوصاية على النبي الجماعي محمد (ص). ثم يتساءل: ما وجه الحكمة في أن يكون من تدبير الله تعالى، أن تجيء الصلاة على هذا الأسلوب الذي يشبه أسلوب المناقصات. كما أن الصلاة ليست وحدها هي التي تختص بهذه المزية في اعتبار الصلاة بعشر صلوات، بل إن كل الأعمال الطيبة توزن عند الله

---

(١) التفسير القرآني للقرآن.

تعالى بهذا الميزان. كما يقول جل شأنه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1].

أما البراق فمثله كمثل بساط الريح. وربما كمركبة الفضاء. وهكذا نرى أن الله أراد الصلاة خمسين مرة في اليوم. وبفضل موسى أصبحت خمساً. وكأن موسى أكثر حكمة من الله أو أن الله أرادها مناورة من الأساس «نعوذ به تعالى».

ويطلق الملالي على معالم وشعائر الدين الإسلامي على أنها فروض. وهذا يعني أنهم من البداية ينظرون إلى العبادة على أنها عقيدة وليست إيماناً. وربطوا بينها وبين الإكراه والمذهبية المتحزبة ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2].

وهكذا تحوّلت الصلاة إلى فروض حسب كل عقيدة، بينما الله أرادها طاعة وحرية مطلقة بين الفرد وربه بما يحقق انعتاق الإنسان روحياً من الاستلاب الديني الجمعوي. بينما الملالي يريدونها فروضاً حتى يدفعوا الناس إليها دفعاً. بينما لو أراد الله تعالى أن تكون الصلاة خاصة - والعبادة عامة - فرضاً وإلزاماً لخلقنا مطيعين له، راكعين، ساجدين بالغريزة كالحيوانات. ولما

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

كان لقوله تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[1] أي معنى. ويوجد الكثير من الآيات التي تؤكد مبدأ الحرية الإيمانية أو الإلحادية بعيداً من العقائد والمذاهب الوضعية مما لا مجال للخوض فيه هنا.

فإذا كان الله تعالى قد وهب لنا ومنحنا الحرية التامة في الإيمان والاعتقاد، فما بال هؤلاء التيِّسين الذين يريدون أن يتسلطوا على ضمائر المؤمنين والموقنين ويقيموا من أنفسهم أوصياء على دين الله وإيمان العباد.

لقد جعلوا العبادة والطقوس الشغل الشاغل للإنسان، وكيف ينجو من عذاب النار أو يتمتع بالحور العين نهار مساء.

وسخروا أمر الله بالصلاة والعبادات الأخرى لترويض الناس للحكام. وقتل كل نفس حرة في الامتثال لأمر ربها ونهيه طاعة أو معصية كما يشاء هذا وذاك، وما بينهما درجات في التقوى أو الإلحاد. ولكن الحكم لله، لا للبشر. والدين الحق إنما يقوم على الإيمان الخالص والعمل الصالح. والأول أمر فردي بحت وحرية مطلقة. ولكن هذا لا يعني عدم الدعوة والتوجيه و(الدين النصيحة)، حسب منهج القرآن الذي لا مجال له الآن. وأما العمل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

النافع فيحكمه الحق والواجب. والمساءلة فيه من أمر الجماعة أو المجتمع وقاعدته أو سنته بقدر ما تسعى تكسب. ومن لا يعمل لا يأكل، سواء كان من المطيعين أو من العصاة. والمصون حق العمل الشريف لا حق الآمرين بما لم يأمر به الله. فحق الله هو حق الجماعة باعتبارها وكيلة رب العالمين فيما أتاها والكل سواء أمام الله وبنعم الله. فإذا لم يكن الأمر كذلك فهو ظلم الإنسان للإنسان وأداة الظلم هي العرضية (الملكية المخصصة). وإسقاط الظلم من مسؤولية الظالم والمظلوم عند الله في يوم الحساب والدين. أما في الدنيا فعلى المظلومين أن يتصدروا الثورة والنصرة دون تردد وانتظار.

وبعد العرض السابق الذي تناولنا فيه الكثير من الأفكار والمواقف والملابسات التي أحاطت بموضوع الصلاة، سواء من حيث الزبد الذي يذهب جفاء، أو من حيث ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

فالصلاة صلة وتوجه نحو الله الصمد، وتذكير بالقرآن. لكي يكون حاضراً في حياتنا كل يوم ففيه الفصل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾[1].

---

(1) سورة الطارق، الآيتان: ١٣، ١٤.

إن الصلاة في القرآن، من حيث عدد مرات إقامتها في اليوم الواحد، قد لاقت الطمس والتعمية المقصودة لآيات الله من قبل الجبت (رجال الدين)، خدمة لأسيادهم الذين يتملكون المال وبيدهم السلطة والقرار. ويسحتون عمل العباد دون شرعية أو إذن من الله أو من دينه (الإسلام) وكتابه (القرآن). وذلك منذ سقوط النظام الإسلامي الجماعي وقيام الحكم الوراثي الإقطاعي – لبني أمية، وبني العباس وما تلاهم والممتد إلى يومنا هذا، مع الجديد: وهو الاستسلام والتابعية للرأسمالية الإمبريالية والاستكبار العولمي المتوحش، لإذلال واستعباد الشعوب المؤمنة لربها. وكل الشعوب والأديان.

وإن كان للإسلام النصيب الأكبر من الأوباش، تجار الحروب وقراصنة البشر والمال وصناعة الجوع وسفك الدماء. وكان من وسائلهم العنصرية الحقيرة، وعدائهم لله ورسله هو تخريب الدين من الداخل، وإحلال الأديان الباطلة محل الدين الحق، ودين العرضية الحصرية محل دين العمل والعاملون في كل أمة من الأمم. ونصيب الإسلام في ذلك هو النصيب الأوفى لأنهم أصحاب كتاب، لم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو القرآن الكريم، هدية الله للبشرية جمعاء، فأوكلوا مهمة التحريف

والتشويه والتخريب إلى رجال الدين الخونة البائرين والمرتزقة النفعيين والمجندين لتقديس العرضية وخدمة الاستكبار العولمي وخداع الناس (الجماهير) القائمة الساجدة وحشرهم في كثرة من العبادات والطقوس التي ما أنزل الله بها من سلطان أو برهان، وطمس آيات القرآن، وحرفها عن معانيها الأصلية. وفي الوقت نفسه يقولون إنهم يأخذون بمبدأ فصل الدين عن الدولة والفصل بين السلطات، بينما هم المسؤولون عن استخدام الدين لأغراضهم الخاصة من البداية وكأداة للصراع ضد الآخرين عالمياً، فجندوا العصابات الدينية وألحقوهم زوراً وبهتاناً بالإسلام، كما أساءوا إلى المسيحية القائمة على الحب والإيمان بالله. وهم لا يعرفون من ملة السيد المسيح سوى أنه قال: «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

نعم، لقد كانت دعوة السيد المسيح موجهة إلى المستعبدين والفقراء والكادحين، وكانوا مستضعفين لا حول لهم ولا قوة. وكانت الشرطة والكتبة من الملأ اليهودي يلاحقون ويتعقبون حركة السيد المسيح أينما ذهب، وماذا يطرح؟ لكي يحرضوا عليه الحاكم الروماني. وكان بعضهم مندساً داخل حركة اليقظة الرسولية، وكانوا يسألون السيد المسيح (سلامه علينا) أسئلة استفزازية للوقيعة به، ومن هذه الأسئلة: هل ندفع الضريبة لقيصر؟ وكان المسيح وأتباعه

قوة مستضعفة لا يستطيعون مواجهة الحكم الروماني. ووضعه شبيه بوضع الرسول محمد (ص) في مكة حيث لم يأذن له الله باستخدام العنف. وكان مطلبه الوحيد هو قوله (ص) «خلوا بيني وبين الناس». وهكذا كان المسيح يقول في خطبه. ولكن لم يصل إلى المرحلة التي وصلها محمد في إسقاط الشرك والوثنية وإلّا فإن هذا كان هدفه. فإما الدين الحق وإما الدين الباطل. وهذه كانت رسالته ولكن عاجلته إرادة الله فأكمل محمد (ص) مسيرته. وهذا ما قاله محمد (ص) وأكده «إن مثلي ومثل إخواني من الرسل كمن بنى بيتاً وترك فيه لبنة واحدة فأنا تلك اللبنة». وبالمثل فقد قال المسيح (سلامه علينا) إنني لم آت لأنقض الناموس وإنما جئت لأكمله. ولكن بالتأكيد لو كان المسيح والبروليتاريا المستضعفة قادرة على إسقاط الحكم الروماني القائم على الملكية الإقطاعية والعبودية لما قال المسيح «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله» أي ادفعوا الضريبة وتواصوا ما بينكم قدر الإمكان ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

والآن لا يخجل بوش بإعلانه أن الحرب على الإرهاب، ستكون حرباً صليبية. كما راودت بلير أحلامه بتحويل الشعب الأفغاني إلى المسيحية وما درى أن المسيحية الحقة واردة بالقرآن الكريم، ونحن أولى بها من غيرنا بل هي منا وإلينا. فمن الذي

يستغل الدين في العلاقات السياسية الدولية؟ وما هو الفرق بين بوش بتصريحه السابق وابن لادن، صنيعة أميركا، الذي أعلن أن كل الأنظمة الاشتراكية كافرة بما في ذلك حكومة صدام؟

لقد أفرغت الكنيسة رسالة عيسى من محتواها عندما وظّفتها في خدمة الرأسمالية الطبقية الظالمة. فحذا الفقهاء المسلمون حذوهم. ولما لم يجدوا غايتهم في التلاعب بالقرآن أقاموا أمر الدين على الحديث النبوي ومعياره السند وليس القرآن أو العقل أو العلم، فوجدت كل فرقة ضالتها فيما يقرب المليون حديث. وهكذا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾[1]. وأهل السنة (هَدْي الرسول) يرددون حديثاً لا شك أنه مدسوس وفحواه أن أركان الإسلام خمسة، شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج للمقتدر.

وليس بين هذه الأركان واحد خارج دائرة العبادة. فأين النظام الإسلامي الجماعي والمؤاخاة الاشتراكية وحقوق الفرد والجماعة القائم على مبدأ الأخذ والعطاء والعتق التام، وحفظ كرامة الإنسان وكل إنسان، والمساواة أمام الله والجماعة، وتنظيم علاقة العمل النافع (الصالح) وحرية الدين والإيمان؟ بل أين رسالة الله تعالى

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

للرسل والأنبياء جميعاً بعدل موسى، وحب عيسى، ورحمة محمد ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1] و«العالمين» أجناس الشعوب. وبالتالي فإن الأممية الإسلامية للإنسانية قاطبة والسبق للإسلام والقرآن وليس لماركس أو أنجلز ولا للينين أو ماوتسي تونغ.

إن الإسلام قد حمل راية العالمينية (الأممية) منذ مطلع القرن السابع. كما رفع عيسى (سلامه علينا) راية المحبة والشفقة والرأفة. إلّا أن الكنيسة قد خلطت بين المستوى الشخصي والمستوى الاجتماعي، بإشاعتهم مقولة في الأناجيل تفيد أنه إذا لطمك أحد على الخد الأيمن فأدر له خدك الأيسر. ولكن هذا يتعلق بأخلاق السلوك الفردي؛ فينبغي للإنسان المؤمن أن يكون سمحاً حنيفاً حميداً. كما كان السيد المسيح وتلاميذه (الحواريون). فكانوا كما قال القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[2]. فما حافظوا على الرهبانية الحقة

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] يحلون ما يحلون ويحرمون ما يحرمون.

وعلى المنوال نفسه تشيع مقولة التقية بين المسلمين في مواجهة أعداء الإسلام من الكفرة والمستكبرين في الأرض. وقد نهى الله عن موالاة الكافرين واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين أو إيثار مصلحة الكفّار على مصلحة المؤمنين. وقد وصل ذلك إلى حد التجسّس لمصلحة المشركين. وقد وقعت حوادث من بعض المسلمين كانوا يوالون فيها اليهود والمشركين لقرابات وصلات. وهؤلاء ليسوا من ولاية الله في شيء ولكن هذا ظلّ محصوراً وعلى مستوى أفراد.

ولكن الزمن يدور دورته وإذا حكام الدول الإسلامية، لا يوالون الكفار فقط، وإنما غدوا تحت حماية أنظمة الشرك ورعايتها، خصوصاً دول الخليج. ونحن لسنا نواليهم فقط وإنما اتخذناهم أولياء علينا. بينما يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]. وقد فرض الأميركيون والإنكليز عدم تدريس هذه الآية في المعاهد الدينية وغيرها من مثلها، ويبررون ذلك باتقاء شرّهم.

وتفيد الآية ٢٨ آل عمران أن من يفعل ذلك فليس من الله في شيء. ثم يشنع وينعى علينا إذا كنا اعتبرنا ذلك (تقية) مشروعة أو إلّا إذا كنا نخافهم ونحب الدنيا على الآخرة. فإن الله نفسه يحذرنا من هذا المصير. وهذا يعني أننا نخشاهم ولا نخشى الله ونختار أميركا ولا نختار القرآن.

إننا كأمة مسلمة ينبغي أن نستثمر كل إمكاناتنا وجهودنا وطاقاتنا وإلّا أكلتنا الذئاب وهذا ما يحدث الآن. وعلينا أن نواجه أيضاً الأعداء في الداخل. إنهم شرك وشراكة قائمة على الظلم والعدوان والطغيان.

وأخيراً، فإن القرآن ينذر المسلمين جميعاً على أساس أنهم أمة محمد (ص) بأن يحملوا راية الله ورسوله وإنْ كفروا بها، وتولوا عنها فسوف يوكل الله هذا الأمر إلى أمم أخرى. أما إذا كانت أمة محمد هم العرب، فيبدو لي أن زمام الأمر والعزم قد أفلت منهم

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١.

ولم يعد يرجى منهم خير، بعد أن أصبح مصير العرب بيد مردة المال محلياً وخارجياً. وحق عليهم قول الله ورسوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[1].

فإذن هي ردة عن الإسلام والقرآن وما يحدث فنذيره شؤم على أمة العرب. ولن يخسر الله بقرآنه ودينه (الإسلام) شيئاً، وعباد الرحمن والإيمان قائمون في كل مكان. وهذا إخبار القرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2] ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾[3].

إن أنظمتنا في خوف ورعب وخشية ليس من الله، كما ينبغي، وإنما من شعوبهم ومن أسيادهم في مراكز القوى الرأسمالية الإمبريالية أيضاً. فالشعوب تسعى للتطور والتقدم والرقي وكل الإمكانات متوافرة من رب العالمين ولكنها مخزونة في دوائر الاستكبار العالمي بل أصبحت رصيداً لأعداء العرب والمسلمين

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٣) سورة المدثر، الآية: ٣١.

وخصوصاً أميركا وإسرائيل العنصرية الغاصبة، وهم يخشون زيادة الابتزاز الأمريكي لرفع اليد عن هذا النظام أو ذاك حسب تغير المصالح وأشكال الهيمنة الاستعبادية للملأ الطاغوتي العالمي، وتحوله من تقديس الملكية المخصصة ورأس المال إلى ملكوت ومُلْك المال. ومن العداء للشغيلة والعمال إلى عداء للجماعة العاملة وكل العاملين على امتداد العالم وخصوصاً الشعوب المستضعفة باعتبارها فريسة سهلة المنال. ولكنها سياسة وطغيان معادية للبشرية جمعاء، ومجرمة بحق الإنسان أينما كان، وعلى أساس شريعة الغاب القوي يأكل الضعيف والأغنياء يتمتعون من جوع الفقراء و(ما تمتع غني إلّا من جوع فقير). والاستكبار الإمبريالي بحاجة إلى دعاية وتضليل لشعوبهم ومغفلين من الموالين الأقزام، دعاة الوطنية وما أسموه بالحركة الديمقراطية العالمية. ولكن السر أنهم ميسورو الحال وفي رغد من العيش والأعلاف. والمهم المصونية المعطاء ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾[1] فقط إحلال المال بدل القتال. ومفردات الأحوال (عولمة، خصخصة، شراكة، حروب، إجرام، شرعية، صليبية،) وتلك هي الديمقراطية وجوهرها (لك الحق أن تشتم نفسك والآخرين) إنه النقد والنقد الذاتي للأمين العام (حميد). والاستكبار العالمي والهيمنة الأميركية تحتاج إلى:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

- استفزاز: وهذا يقدمه ابن لادن وجماعاته التي تقدس ملك المال وهم ماركة أميركية على كل حال.
- ابتزاز المال لتمويل الحروب والغزو والهيمنة من ثروات الشعوب المستهدفة والمستضعفة. وهي ظاهرة جديدة تريح البال وملك المال للطغاة والطغيان والموات. ولم يبق إلّا صخرة كأداء. فالقرآن حي لا يموت كجلمود صخر حطّه السيل من علِ. والسؤال الأكبر: كيف نحيي أنفسنا بالقرآن؟!

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ لليل أن ينجلي ولا بدّ للقيد أن ينكسر

وأيضاً:

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

وهذه هي رسالة أنبياء السماء وملائكة الأرض وحكماء التاريخ.

الصلاة اليومية

بعد هذا الإطار العام، نعود إلى القرآن بخصوص الصلاة

اليومية. وكم تكون عدداً؟ وكيف تكون معنى؟ وسنبدأ أولاً بالآيات الحكيمة التي ذكرت فيها كلمة «الصلاة». يقول الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[1]. والصلاة هنا مذكورة حقيقة لا مجازاً. ونلاحظ هنا أن الله لم يقل أدِّ أو أدوا الصلاة، وإنما قال (أقم). وقيام الصلاة يعني إتيانها مقومة ومستقيمة ومعتدلة والاعتدال هو الحالة المثلى للصلاة وحسب ظروف الشخص والإقبال عليها برغبة وآمال، وبروح عاشقة طائعة لربها. والتهيؤ لها بالوضوء واتخاذ الهيئة المناسبة، وما أمكن من خشوع وقنوت دون تصنّع أو نفاق، والاتجاه إلى الله بنية خالصة وقناعة تامة. وعليك أن تتأمل بما تقرأه من آيات ولكن ليس تفكيراً أو عناء للعقل أو إغراقاً في التصوّر والخيال، فدور العقل قبل الصلاة وبعدها، أما أثناءها، فإن الصلاة راحة للبال وانشراح للصدر وإطلالة على الحق المبين في القرآن. فإن لم تكن تراه فإنه يراك. فاحرص، وأنت تصلي، أن لا ينشغل ذهنك بعيداً عما تقرأه من القرآن. وإذا صحب ذلك فهم المعنى، أو المعاني لآيات الله وكلماته، فذلك خير. وتستطيع أن تبدأ من أي مستوى كان فالممارسة الروحية ليس لها قرار، وهي أبعد وأعمق من كونها

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٤.

مسألة ثقافة أو شهادة أو لغة، ولغة القرآن مبسوطة، ويصعب على الظالم والمستغني فهمها حتى وإن كان عارفاً باللغة العربية، بل وإن الشغيل والكاسب هو الأقرب للقرآن وليس الملأ الناهب أو العرضية المنهوبة. والمهم القنوت والخشوع والإخلاص في الصلاة لله تعالى، ولكن ليس تفكيراً مجرداً أو تدبراً للقرآن، فهذا ينبغي أن يسبق الصلاة، أو يتلوها بأي قدر كان ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[١]. فالصلاة حاجة روحية لمن يقوم بها وفيها إيحاء وتوجيه وأثر وحكمة وعلم ودراية وليست مجرّد عادة أو واجباً أو فرضاً بل طاعة ذاتية ورغبة ورهبة أمام الله تعالى.

وذلك معنى الصلاة الوسطى أي المثلى، والأمر الأمثل هو الاعتدال بلا تفريط أو إفراط. فالزيادة أو النقصان لا يحققان الحكمة التامة من الطاعات. فالمهم المداومة، وليس كم تمضي من الوقت في الصلاة «إن الله يحب الدومة من الأعمال». والإقبال على العبادة أو تركها أمر شخصي وهو أفضل من التكلّف والمراءاة والنفاق التي تفسد الطاعات. وبالمثل، فإن القسر أو الضغط، بأي شكل كان، يبطل العبادة لله، ويحوّلها إلى عبء، يولّد النفور والامتعاض من دين الله للناس.

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٦.

ونعود إلى الآية ١١٤ - من سورة هود، فنجد أن الصلاة المأمور بها من رب العالمين - وهي التي تسمى فروضاً بمنطق رجال الدين. بينما هي، في الحقيقة، طاعة أو معصية لأمر الله أو نهيه حسب منطق القرآن. والكل يتفق على أن طرفي النهار يعنيان أوله وآخره أي صباحاً ومساءً. أما النهار كله فهو للكسب والعمل وهو مقدم على العبادة. إذن المأمور به هو الصلاة مرتين في اليوم الواحد، أي فرضين - كما يشاءون - وفي غير ساعات العمل والسعي.

والصلاة الأولى هي صلاة الفجر مع بداية طلوع الشمس، وسميت بذلك لأنها تبدأ من الفجر والشروق إلى الضحى. والصلاة الثانية تبدأ مع احمرار قرص الشمس إلى ظلمة الليل الدكناء، وهي التي تسمى صلاة العشاء.

وقد أصبحت كلمة الصلاتين اسم علم على الصلاة، فإذا أراد الشخص أن يسأل آخر عن الصلاة، يقول له: هل تقوم الصلاتين؟ وكانوا يسمونها أيضاً البردين أو العصرين كما سنرى. والرسول الأمي (الجماعي) يقول: «من استطاع منكم أن يشهد الصلاتين: العشاء والفجر ولو حبواً فليفعل».

أما ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ فإنها جمع زلفى أي قربى وهي صلاة

التطوّع وليس الطاعة. أي إنها قربات أو نافلة. وتؤدى في طائفة (فترة) من الليل قريبة من ساعات النهار كما يرى المفسّرون. فهي إذن إضافة وتطوّع بعد الطاعة إذا رغب المصلي أن يقوم بها زيادة عن الطاعة أو ما يسمونه (فرضاً)، والذي يلبي حاجة روحية وزيادة حمد وشكر. ولكن ينبغي أن يفهم أن التطوع لا ثواب عليه في الآخرة، ومن لم يقم بها ليست معصية. وبالتالي، فمن لم يجد فائدة أو متعة أو غرضاً من صلاة التطوع، فإن الأفضل أن لا يقوم بها. بل إذا كانت صلاة التطوّع تتم على حساب العمل والوظيفة، أو تحصيل العلم، أو رعاية الأسرة، فإن إقامتها باطلة كمن يقترف إثماً، لأن العمل هو العبادة الأولى التي تنظم نشاط الإنسان. كما أن التزوّد بالعلم والمعرفة والتطور الروحي من لوازم الصلاة القائمة والعبادة الحقة ولا شك بعيداً عن التكلّف والابتذال والتقوى الخارجية، مثل الذين يخصصون مصليات في أماكن العمل والوظيفة. فكيف يتحقق صفاء الذهن، وتوجّه الروح، واستشعار عظمة الله، في الصلاة الخاشعة القانتة مع زحمة العمل؟ وربما الهروب من العمل أو التكاسل عن أداء الإحسان (العمل المتقن). فكيف ترجع النفس راضية مرضية ومطمئنة إلى ربها؟ بل، وبأي حق تتعطّل مصالح الناس، ويختم على الأبواب «مغلق للصلاة»؟ فأي صلاة هذه التي تغلق العقول وتغلف النساء وتعطل العمل؟ بينما الإيمان حركة

ونشاط وثورة في الحياة وحافز للتقدم والرقي والانطلاق نحو آفاق القرآن ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1].

والآية **الثانية** في القرآن وفيها ذكر الصلاتين بالاسم هي قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

من هـذه الآيـة يتبيّن أن الصلاتين الواجبتين من الله (المفروضتين) هما العشاء والفجر. كما نلاحظ أنه سبحانه وتعالى قال: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾. ولم يقل وحين صلاة الظهر أو الظهيرة التي يدعو إليها الملالي ورجال الدين الأشاوس؛ مع أنها ضمن وقت الصلاة عندهم. ومع أن ذلك يتماشى بشكل أفضل مع سياق الآية بالنسبة إلى القارىء. وإنما قال ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾. وهذا يعني أن الظهر ليس وقت صلاة. وإنما وصى أن

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٨.

تكون الظهيرة، أو القيلولة من عورات الناس ولا صلاة فيها أو أي عبادة وإنما النهار كله للعمل، حتى بالنسبة إلى الرسول. فقد أمر بالصلاة ليلاً والعمل نهاراً ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾[1]، أي إن لك في النهار عملًا ﴿سَبۡحًا﴾ كثيراً متواصلاً سريعاً، فلم يبق إلّا الليل، فاغتنم جزءاً منه يكن لك خير كثير وفضل كبير.

أما الآية الثالثة التي يتلاعب بها كهنة الإسلام فهي قول الله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾[2].

وهنا يثير رجال الدين زوبعة، ولغواً وهذياناً في وجه القرآن الكريم وفي استغفال المؤمنين، وذلك بخصوص معنى «الدلوك» ضاربين اللغة بعرض الحائط ومفترين على القرآن بل ورب القرآن الراكعين الساجدين له بالبطلان والبهتان دون وجل أو خجل مع إساءة الأدب لله تعالى شأنه. فمعنى «الدلوك» كان مفهوماً من الناس، والصحابة منهم وفيهم رسول الله - مبلغ القرآن - وقد أكّدوا أن دلوك الشمس يعني غروبها. ويروى أن عليّاً بن أبي طالب

(١) سورة المزمل، الآيتان: ٦ - ٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

قد أكّد هذا المعنى وكذلك عبدالله بن سعود. فقد كانوا متفقين على أن دلوك الشمس هو زوالها والزوال - من زال - وهو عند غروب الشمس والمقابل طلوعها. فالصلاة عند الطلوع وعند الزوال. فالبداية صباحاً والنهاية مساءً لفترة كافية، أي قبل العمل وبعد العمل.

ويروى عن جابر أنه قال: (طعم عندي رسول الله (ص) وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال الرسول: هذا حين دلكت الشمس). وواضح أن المقصود هو ميل الشمس إلى الغروب أي مغيب الشمس وهو الأصيل. أما الفقهاء والمشايخ المجندون من قبل الطغاة والعرضية الحارمة، فإنهم يدجلون: بأن دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء. وهكذا يدحضون الحق بالباطل في سبيل خداع الناس وانشغالهم بأمور العبادة والصلاة، فبينما الله يأمرنا أن لا نشغل بالصلاة أو العبادة عن العمل الصالح النافع دائماً خلال النهار. فجاء الملالي وأضافوا ثلاثة (فروض) للصلاة، أي أكثر من طاعتين كما شاء الله، وهي الظهر والعصر والمغرب. ثم تحت مظلة «الدلوك» أضافوا - كذباً وإفكاً - صلاة العشاء. والحقيقة أن الظهر هو الذي تكون فيه الشمس أكثر عمودية. وما أبعد هذا القول عن معنى زوال الشمس. فمالت الشمس إلى الزوال

يعني مالت إلى الغروب. وهم يأتون بكل ذلك الزيف والتحريف لتبرير الصلوات الخمس بأي طريقة أو فرية ودجل.

وهناك من جعل الدلوك محيراً في معناه. فقالوا: (الدلوك اشتقاق من الدلك، لأن الإنسان يدلك عينيه عند النظر إلى الشمس. وهذا إنما يصح في الوقت الذي يمكن النظر إليها وهي في كبد السماء. إلّا أن ذلك لا يحصل إلّا عند قرب الشمس للمغيب فيمكن النظر إليها. وعندما ينظر الإنسان إليها، في ذلك الوقت يدلك عينيه. فثبت أن لفظ الدلوك مختص بالغروب)[1].

ولكن الدلوك لا يقع في عين الناظر للشمس وإنما لقرص الشمس عند احمرارها مساءً. ويأخذ الملالية في عصرنا الحاضر «الدلوك» بمعنى الزوال بدءاً من الظهر إلى عتمة الليل. ومنهم من يرتاح للقول: دلكت أي زالت ساعة الزوال. وهكذا فسّر الماء بعد الجهد بالماء. وكفى الله المؤمنين بالخمس، فرضاً وبالخمسين أجراً. والتخشم هو التقوى.

هكذا يضلل ملالي الشيطان الناس ويروضونهم ويشغلونهم بكل ما هو تافه وسقيم، وهم يلهثون وراء الطغاة والبغاة للدرهم والدينار من أموال العباد.

---

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي.

وبقيت لهم الصلاة الخامسة، أي الفرض الخامس بمنطقهم. فأفتوا بأنها ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[1] وبذلك تمّ النصاب. فالفترة الأولى تضم أربع صلوات والثانية واحدة فقط. ولو احتاجوا لجعلوها أكثر من ذلك. إلّا أنهم خشوا أن تكون الفضيحة فاضحة. ولكنهم لم يتركوا الأمر على هذه الشاكلة، أو عند هذا الحد، فادعوا أن صلاة الفجر تشهدها الملائكة حرس الليل وحرس النهار والذين يتبادلون الحراسة باستمرار. فمن أين لهم هذا العلم؟

وهل رأى أحد ملائكة أو جناً أو شيطاناً منذ بدء الخليقة وإلى الآن. أو لديه مصادر تثبت ذلك؟ أم أنه تخرص وأوهام؟ هذا إذا لم يكن تضليلاً ومكراً وتخريفاً لدين الله أياً كان؟ لقد مضى عصر الخرافة والدجل. ونحن الآن في عصر العلم والآفاق وتحطيم الذرّة إلى ما هو أصغر وارتياد الفضاء إلى ما هو أرحب، والله عالم الغيب والشهادة لكل شيء بما في ذلك صلاتكم، فالله شاهد لها وعليم بها وكل شيء قائم في علمه وحفظه. وما عدا ذلك فإنما هو رمز، أو مجاز، أو تمثيل، وهو من أسلوب القرآن، وكل المعاني السابقة

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

يجمعها قول الله تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(1). فصلاة الفجر أو أي صلاة، مشهودة من رب العالمين، وملائكة الأرض هم عباد الرحمن ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾(2). وهم الملائكة ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾(3).

الآيـة الرابعة ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾(4).

وقد سبق وأن تكلمنا عنها وهنا نذكر ما فاتنا فقط. لقد نظر الملالي، ودون نظر، إلى أن لفظ «الوسطى» قاسم عددي أو حسابي. يكون ما قبله مساوياً لما بعده وعلى أساس التقسيم هذا راحوا يبحثون، أو يحنثون الحنث العظيم. فلم يهتدوا أو يتفقوا فلا أحد لديه الحجة. ويلخص موقفهم محمد فريد وجدي في

(١) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

المصحف المفسر حيث يقول: (﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ صلاة العصر، وقيل الظهر، وقيل الصبح، وقيل المغرب، وقيل العشاء). إنها ورطة لهم، فالقرآن لا توريط فيه. والخطأ في المقدمة وليس في النتيجة. «فالوسطى» ليست رقماً عددياً. وإنما هي صفة وتعني المثلى أو الفضلى. والموصوف هو الصلاة، المعتدلة والمستقيمة، والأمر الثاني هو أننا، وبفضل فطاحلنا الفقهاء، نعتبر أن البرهة ما بين وقتيْ الظهر والمغرب هي العصر، وهذا غير صحيح إطلاقاً، فالناس في عهد البعثة يشيرون إلى عصرين في اليوم الواحد، وهما: الغداة والعشي.

وهكذا ننتهي إلى صلاة منتحلة، وفي وقت زائف. كما يلاحظ أن الصلاتين، العصر والفجر، الحاليتين، لا تصلى فيهما ما يسمى بصلاة السنة (تطوع) بعد صلاة الطاعة (الفرض). مع أنهما برهتا صلاة مفتوحتان حتى المغيب وحتى الضحى. وهما الأولى في التمدّد إذا كان ولا بد، بل ولا صلاة غيرهما في اليوم. فهل هذا صدفة؟

بعد الآيات الأربع، المجموعة أعلاه، نورد ملاحظات عامة واستنتاجات:

إن أي مطّلع على القرآن الكريم يدرك تماماً أن القرآن ينص

على أن الصلاة طاعتان (فرضان) فقط. ومن يرُد الاستزادة أكثر، فذلك نافلة وقربان لمن هو فارغ وراغب بلا ثواب ولا عقاب.

والحقيقة أن الثوار الخوارج، وكانوا حركة شعبية واسعة، يرون أن الفرضين الواجبين هما الفجر والعشاء فقط. وهذا ما يتفق مع صلاة القرآن. وإن من صلى طرفَيْ النهار كان إقامتهما كفارة عن كل ذنب سواهما. إلّا أن الفقهاء الرسميين (فقهاء الملوك والسلاطين) يرون أن هذا القول باطل بإجماع الأمة. وكأن الخوارج ليسوا من الأمة أو طرفاً في الإجماع ولا يزال لهم بقايا في بعض البلاد الإسلامية.

ولعل صلاة الجمع عند المسلمين الشيعة أكثر قرباً إلى أوقات الصلاة المحددة في القرآن الكريم. حيث إنهم يجمعون الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء. وهكذا يصلون مرتين في وقت واحد، بينما ليس مفروضاً إلّا فرض واحد. إضافة إلى أنهم، مع الفجر، يصلون ثلاث فترات بدلاً من فترتين، والجمع، في الحقيقة، عبارة عن صلاة ذات نسختين.

ويبدو أن العلويين والزيديين والإسماعيليين والأباضية وغيرهم من قوى المعارضة - ولأنهم معارضة - يقتربون في

موقفهم من الصلاة، بل والعبادة - كما هي مطروحة في القرآن الكريم.

كثيراً ما يذكر القرآن الكريم الشيء، أو الأمر بصفته، أو الصفة الغالبة فيه، أي باسمه وفي الوقت نفسه تسمية له. فالاسم في الحقيقة هو الصفة، أما التسمية فهي للإشارة أو الهوية المعلنة للتعريف سواء بالنسبة إلى الأشخاص أو الأشياء، بينما لا يميز الناس بشكل عام بين الاسم والتسمية. كما أن رجال الدين يخلطون ولا يفهمون، وإن كان هذا الاختلاف وارداً في القرآن. يقول جلّ شأنه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾[1] أي صفوهم، لتنظروا هل لهم من الصفات ما يستحقون به أن يعبدوا من دون الله.

أما التسمية فليس لها معنى من الحقيقة في الواقع. يقول جلّ شأنه أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾[2] وهي تسمية باطلة.

والصلاة لغوياً هي الدعاء، على ذمة أصحاب المعاجم، فلا مجال للتفصيل هنا. وإذا اقترن الدعاء بأوقات الصلاة، فالمقصود هو الصلاة كناية مع أركانها الأخرى وهذا ما يأخذ به المفسّرون

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النجم، الآية: ٢٧.

واللغويون والفقهاء فهو متفق عليه. ويرتبط الدعاء – وبالتالي الصلاة – بالدعوة إلى الله ومن الله، فله دعوة الحق ودعاء الصدق، وبالمثل، له وحده العبادة والاستعانة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وينبغي أن يسبق الدعاء (الصلاة) الدعوة إلى العمل، فالثواب يتكافأ مع العمل والأعمال وفعل الطاعات.

وترك الذنوب والآثام وكسب القوت الحلال هو الدعاء، بل الدعاء الخالص والعمل النزيه هو الرجاء المأمول، والصلاة شعاره وعلامته بدءاً في الصباح وانتهاءً في المساء. ومن ينحرف عن الصراط المستقيم، فليس بداعٍ إلى الله، وإن دعا ألف سنة. ويستجاب الدعاء عند الشروع في السعي والعمل والإنتاج لما هو من الطيبات والنعم، وسيجد أن الله وفّر وأعطى كل أسباب المنة والرزق التي يحتاج إليها الناس من إله الناس. فالأرض معطاة للعمل ومستجيبة ومطاوعة لفعل الإنسان، وفيها ما يكفي للحياة الطيبة للبشرية قاطبة وزيادة أي فائضاً للتنمية والتطور والاستثمار بما يكفل رقي الإنسان والانطلاق نحو الآفاق والنفس البشرية صعوداً إلى الملأ الأعلى مكانة لا مكاناً، حيث: رحمة الله، ورسله، وعباد الرحمن «ملائكة الله» وحسن أولئك رفيقاً. ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ

ﵟاللَّهِ لَا تُحْصُوهَاۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌﵞ[1] وﵟوَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِۖﵞ[2].

وإذا لم يكن الأمر كذلك: فهو من الناس وليس من الله. أي إنه نتاج الظلم والحرمان من البشر الخامل (شرذمة) للبشر الكادح (الجماعة). وكلنا يحمل وزره، والذي يتولى كبره له عذاب عظيم في الآخرة، وأما في الدنيا فكلنا في العذاب سواء (حروب، أزمات، مجاعة، قتل ودمار)، فنحن فيه شراكة وليس فقط للذين اقترفوا الظلم، ولكن من قبلَه أيضاً وخضع له، إلّا من لا حيلة له ولا حول ولا قوة، فيكون من الناجين من النار، بعدما لحقه نصيب من العذاب في الدنيا، ومن كان غير ذلك فلهم سوء العاقبة ﵟوَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةًۖﵞ[3] فلبوا الدعوة من الله وسترون أنه معكم قبل الدعاء إليه ﵟوَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَﵞ[4]. وإلاّ ﵟلَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

﴿دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[1] حقاً إن الشيء الذي تدعونني إليه، ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، تدعونني لأكفر بالله الحق وأنا أدعوكم إلى توحيد الله العزيز الغفار.

وقد ثبت وحق ذلك عند الله والله يدعو إلى دار السلام. بطلبه من الناس جميعاً الإيمان والعمل الصالح. لتحقيق الحياة الطيبة دنيا وآخرة والأمـان والاطمئنان إلى حكمة الله ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[2]. والهداية تأتي للذين أحسنوا في العمل وهي طريق معبد إلى الله ومفتوح للجميع، والأمر أمرهم إن شاءوا أو أعرضوا ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[3]. والدعوة هي اتباع طريق الهداية والحياة الدنيا هي المسار إلى الآخرة، فمن عمّر دنياه عمرت آخرته (جنته). فالله يأمرنا بالعبادة لمصلحتنا وليس لمصلحته فهو الغني الحميد، والعبادة (ومنها الصلاة) تحذّر الإنسان من الجهل وتحفزه للعلم وتربيه على مكارم الأخلاق، إنها تذكرنا بحق الله (حق الجماعة)،

---

(١) سورة غافر، الآية ٤٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٠.

وأن الله تعالى قبل وجهه وبرعايته «إن أحدكم إذا قام يصلي فإنه يناجي ربه. فلينظر كيف يناجيه». والدعاء رجاء فالتمس أسباب العمل القائمة في الأرض بل والسماء. وإن كنت مظلوماً أو مستضعفاً فساهم في العمل لإسقاط سلطة الظلم وحرمان العباد والقضاء على الاستعباد الخارجي والداخلي، ومصادرة المال الحرام على أساس مبدأ من أين لك هذا؟ وسترى أن الصلاة الحقة والخالصة لله رب العالمين، هي خير معراج للشخصية الإنسانية، تعرج به إلى أعلى مستويات الكمال والخير والجمال. وأما الفقر والجوع والاضطهاد فناتج من العلاقات بين الإنسان وإنسان آخر متخم وغارق ومستخفٍ في الظلمات رغم الليالي الحمراء والقمار (أي الميسر في الكازينوهات) وأسواق المال (البورصات) ورقيق الجنس والحرمنة لأموال العباد وكما قال محمد الجماعي: «ما تمتع غني إلّا من جوع فقير» و«إنما أخشى على أمتي فتنة المال» أي حرام المال (رأس المال). وأساسه العرضية والحرمان والاثنان متلازمان. ويقول فورييه: «إن الغنى يولد الفقر». ونحن نقول: «إن المال الحرام يولد الحرمان».

إذن الدعاء والدعوة والرجاء تذكر وتشير إلى الصلاة، إذا تواقتوا، مجازاً، وليس بالتسمية الجارية تصريحاً. وهذا متفق عليه

من الكل. ولذلك فإن كلمة يدعون تعني يصلون كما مرّ علينا ذلك سابقاً. ولكن سنتبع تسلسل الآيات. وهنا الآية **الخامسة** ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[1].

والآية **السادسة** ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]. والمعنى للآيتين متداخل فلا يجوز طرد الذين يدعون ربهم صباح مساء من الفقراء والكادحين عن مجلسك، واصبر نفسك معهم فهم المخلصون لك المؤمنون بدعوتك يريدون بهذا وجه الله لا نفاقاً ولا رياءً ولا سمعة، وقد قيل عنهم لنوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[3].

يروى أن الملأ من قريش مروا على النبي وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعاف المسلمين فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا. أنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعل إن طردتهم أن نتبعك؟

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١١١.

والآيتان متقابلتان: نهي من الله عن الطرد وأمر من الله بالصبر والحرص على مجالستهم دائماً. والأمر الآخر هو أن الغداة والعشي قد تكررتا مرتين للتأكيد، وهما تشيران بكل وضوح إلى أن الصلاة مرتان باليوم الواحد، أول النهار وآخر النهار، وهما الغداة والعشي وهذا متفق عليه. فما الحاجة للإضافة إلّا أن تكون دعوة شيطانية مضللة، والمضللون هم الأبالسة والشياطين من الإنس الظاهر والجن المستتر وهم القوى الشريرة في مواجهة القوى الخيّرة.

الذكر

الذكر عنصر أساسي في الصلاة، بل إن الصلاة نفسها ذكر قبل أي شيء آخر ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1]. وذكر الله المعرفة والعلم بوجود الله من آياته في الكون الرحيب وآياته في القرآن الكريم، ومن آياته في الحياة والإحياء والموت والوجود والعدم.

وبخصوص الصلاة فإنه لا تتم إلّا بقراءة شيء من القرآن، بل إن القراءة من القرآن فقط تكفي عما عداه؛ فقراءة القرآن وتدبره هما المأمور به من الله تعالى والباقي حشو ما أنزل الله به من سلطان ولا بيان ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ وأكّد ذلك ثانية ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا

(١) سورة طه، الآية: ١٤.

﴿تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[1]. وذكر الله قائم في كتابه (القرآن)، فالقرآن كلام الله ذي الذكر الحكيم، والبيان الجامع لكل ما يهم العالم قاطبة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2]. وما به صلاح الدنيا وقوام الآخرة والقرآن نفسه ذكر ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾[3] أي القرآن. وقوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾[4].

والقرآن شامل لكل رسالات الأنبياء والحكماء والصالحين المصلحين على أساس من العلم والعمل ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾[5] في مسيرة العدل والحب والرحمة ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[6] وهو شرف لك ولأمتك المسلمة ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[7] بل القرآن ذكري. وهو أبلغ من مجرد الذكر. ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[8]. فالقرآن الكريم ذكر في الصلاة والعبادة

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥٠.
(٤) سورة ص، الآية: ١.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٤.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.
(٧) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.
(٨) سورة ص، الآية: ٤٣.

وذكرى للنظر والبحث والدراسة. ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾[1]، ويقول النبي الجماعي محمد (ص): «ما جلس قوم في المسجد يقرأون القرآن ويتدارسونه إلّا ونزلت عليهم الرحمة». بل إن القراءة ليست مجرد التلاوة والغناء (التجويد) وإنما هي أيضاً تأمل ومتابعة حية وفهم صافٍ قدر الاستطاعة.

والأهم من ذلك، ربط القرآن بالعلم والعمل والممارسة الحقة والصلاة الأوفى والنظر الحر بلا قيود ولا طريق مسدود. والمهم أن نترك القرآن مفتوحاً أمام عقولنا لا مجرد القيام بواجب أو فرض، فلا بدّ للعقل من نصيب بل والنصيب الأكبر والخشية والرهبة أمام كبرياء وعظمة رب العالمين وفي الوقت نفسه الرحمن الرحيم. وهكذا كان الرسول، فقد جاء بلال مرة ليؤذن لصلاة الغداة فرأى الرسول يبكي. فقال له: يا رسول الله أتبكي؟ فقال الرسول: وما لي لا أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1]. ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها». وهكذا فالتفكير والمذاكرة قرين الصلاة، فالصلاة تأمل والتفكير مدارسة وحوار. والمراد التفكر والبحث والنظر في ما خلق الله، لا في الله ذاته. ولكن مما لا شك فيه أننا كلما زادت وتعمقت معرفتنا في صنع الله زادت خشيتنا لله وثقتنا بمحمد (ص) وإقبالنا على القرآن. وهذا على المستوى الجماعي، وأما على المستوى الفردي فالإنسان حر على أية صورة أو انطباع عن الله ذاته، والصلاة استحضار وشعور بعظمة الله ولكن لا يوجد اثنان لهما النظرة نفسها أوالفكرة ذاتها عن حقيقة الله وعلى نطاق الخلق جميعاً منذ كانوا وإلى ما شاء الله.

وبالتالي فإن الذكر للصلاة الحرة والإرادة الشخصية من ناحية والمذاكرة لتحصيل العلم والمعرفة وتحسين العمل، وهذا يتحقق في إطار العمل الصالح، والذكر يتحقق في إطار الإيمان الخالص والمخلص.

وهكذا يجمع القرآن بين الذكر والتأمل والخشية والرجاء من

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

الله ولله والمذاكرة والنظر والعمل في سبيل الحياة الطيبة دنيا ولها عشرة أضعاف في الآخرة. وهكذا يلتقي الأمد الدنيوي مع الأبد الأخروي في الكشف عن حكمة الله في خلق السموات والأرض والإنسان، ما ظهر وما هو في علم الغيب. فهذا سبحانه (العائد له) وكتابه حقاً وصدقاً. وهكذا يجمع الله في القرآن بين العلم والعمل والإيمان ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1].

والمقصود مشركو مكة ولكنه ممتد إلى الآن في الشرك بملك الله. بالرغم من ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2]. وقد كشف العلم الحديث الكثير مما كان يعتبر غيباً حتى في عصر الرسول. ومع أننا حملة القرآن وكان لنا نصيب كبير في التقدم العلمي، إلّا أن نصيبنا اليوم جد ضعيف في الثورة المعروفية، مع أننا نحن الأولى بها لو اهتدينا بهدي وبصائر القرآن التي تلفت النظر والتنبيه، كلما قمنا للصلاة، لكسب ونيل المعارف الطبيعية والاجتماعية ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3].

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ١٠٥، ١٠٦.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

ويتضح مما تقدم:

إن الذكر هو قراءة القرآن في الصلاة، والذكر نفسه هو القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1] ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾[2]. ويستحسن أن يكون مع التأمل والفهم والتدبّر على أي مستوى. وليس مطلوباً بالتفكير والنظر العميق فهذا ينبغي أن يكون قبل الصلاة وبعدها، وهو للعظة والعبرة.

ثم تأتي التذكرة وهي دراسة القرآن والإرشاد به والشرح له خارج الصلاة، وفي دور القرآن إن أمكن ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾[3]. وهذا غير مطلوب من الناس كافة وإنما لطلبة المعاهد الدينية أو للثقافة والاطلاع حسب الظروف. فلا يجب أن يكون على حساب العمل أو كسب العلم الدنيوي وإنما حسب الفرص.

وبعد ذلك الذكرى وهي المعروف للإنسان من علم ومعرفة والتي يحثّ عليها القرآن نفسه، وتتعلق بعالم الشهادة ما يُرى وما يمكن أن يُرى. أما عالم الغيب (الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة) فقد

(١) سورة طه، الآية: ١٤.

(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٣) سورة المدثر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

استأثر الله به ولكن من الذكرى التخصص في علوم القرآن ولكن حسب الحاجة. كما أن التخصص هذا لا علاقة له بالإيمان أو عدم الإيمان، كما أنه ليس تقوى خارجية باللباس أو اللحى وتغليف المرأة والحجر عليها عقلاً ومكانة وكائناً حراً وزوجاً على السواء مع الرجل.

ثم يأتي طور التأويل للقرآن وهو تحقيقه في الواقع الموضوعي والممارسة العملانية جنباً إلى جنب مع تطبيق المعارف الإنسانية العلمية والحكمية والتقانية (التكنولوجيا).

وهكذا نرى أن الذكرى هي المذاكرة والمدارسة والعمل والممارسة. وهي تستوعب الذكر في الصلاة والتذكرة بالقرآن. وهي التي منها تأتي وتتحقق الحياة الطيبة على هذا الكوكب الجميل. والذكرى عطاء وهبة من رب العالمين ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]. والصلاة ذكر للقرآن وما يحتويه على اختلاف معانيه. وقد أمرنا الله بالقيام بها صباح مساء أو الغداة والعشي.

والآية السابعة ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[2]. وكذلك

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾[1]. وهكذا نلتقي، مرة أخرى، مع الصلاتين في القرآن للمرة السابعة.

لقد اقترن الذكر والتسبيح معاً في آيات عديدة. وما يهمنا في الحقيقة هو التواقت أو التزامن مع الصلاة الاصطلاحية. يقول جلّ شأنه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[2].

والذكر هنا علم ومعرفة ودراية بالله وشأنه وبسبحانه (الوجود والخلق). وليس مجرد الذكر في الصلاة. فالواو للمغايرة والغدو والآصال هما طرفا النهار. وبالمثل ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[3]. وأيضاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾[4].

وهكذا نرى أن (الغدو والآصال، والعشي والأبكار، بكرة وأصيلاً) كلها تعني طرفي النهار صباحاً ومساءً قبل العمل وبعده أي

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢٥.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤١.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١، ٤٢.

عند النوم وعند اليقظة. وهذا ما يؤكد أن الصلاة المأمورة من الله هي العشاء والفجر. وهذه هي الآية الثامنة التي تشير إلى الصلاتين وفترة قيامهما حسب القرآن وفي القرآن ومن القرآن.

لقد تناولنا التسبيح في بداية هذه الدراسة. ورأينا أنه كسب العلم وتحسين العمل وحركة المادة في مجرى الكون والحياة وما نعلم فهو الشهادة وما نجهل فهو الغيب وعالمه هو الله وحده وما شاء لنا من علمه وقد شاء ومشيئته جارية وحقائقه تظهر وتكشف للإنسان ما كان خافياً ولكن بقدر قليل ومحدود ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]. وأيضاً ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[2] ومن الغيب ما اختص به الله دون أي كان ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[3].

وعندما يذكر التسبيح اللفظي أو النظري خلال الصلاة، أو في أوقاتها، فإن التسبيح هو الآخر كناية عن الصلاة. وقد جاء ذلك في آيات شتى منها مثل ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الجن، الآية: ٢٦.

﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[1]. وقد تكرر ذلك في سورة آل عمران الآية ٤١ وأيضاً ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾[2]. أو ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[3]. وأيضاً ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[4]. أي بعد كل صلاة وذلك بالتأمل والتفكر في ما قرأت في صلاتك وحسب الرغبة والفسحة. وجاء في القرآن الكريم أيضاً ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[5]. اعمل بالثناء والشكر لله حين تقوم إلى أي عمل من الأعمال.

وهذا يتفق أيضاً مع قول الله تعالى ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾[6]. أي عليك بالصلاة عند أول النهار وآخره في فترة الشروق والغروب.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥٥.
(٢) سورة مريم، الآية: ١١.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٩.
(٤) سورة ق، الآيتان: ٣٩، ٤٠.
(٥) سورة الطور، الآيتان: ٤٨، ٤٩.
(٦) سورة طه، الآية: ١٣٠.

وإذا أردت أن تسبح وتصلي تطوعاً ورغبة فافعل ما يرضيك على أن يكون ذلك في بعض الليل ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا﴾[1]. فالليل طويل ولا بأس من أن يكون شيء منه للصلاة التطوعية (الاختيارية).

وهكذا تتضح الآية التاسعة بخصوص الصلاتين في القرآن. فصلاة الفجر يشار إليها بالأبكار، وبكرة، وطلوع الشمس. أما صلاة العشاء فيشار إليها بالعشي، والأصيل، وفترة غروب الشمس. وقد رأينا كيف أن القرآن الكريم لم يترك ثغرة في عبادة أساسية ومركزية وخطرة كالصلاة ووقت إقامتها.

لماذا الصلاة

بعد هذا الاستعراض للصلاة في القرآن نستنتج أن الصلاة الواجبة فيه مرتان (طاعتان) في اليوم الواحد: قبل الإقبال على العمل صباحاً وبعد نهاية العمل مساءً. والصلاة عبادة للذكر والتدبّر وقراءة القرآن في الصلاة التي لا تجوز بدونها مع فرق تكامل بين الذكر والذكرى، وإن كان جذر الكلمة مشتركاً، إلّا أن الذكرى

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢٦.

أعمق وأشمل، وبالتالي فإنها تعني المذاكرة والمدارسة والفهم للقرآن الكريم - كما مرّ علينا - وللطبيعة.

وذلك الذي مرّ يقتضي الوعظ والإرشاد الصادق وتحقيق المصلحة والأمر النافع، إن هو إلّا ذكرى وموعظة حسنة وهداية للذاكرين الذين ينشدون رضى الله والمزيد من علمه وحكمته وقدرته ﴿ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. والمؤمنون مهتدون ولا يحتاجون إلى تبليغ حيث يفترض أنهم قد تجاوزوا هذه المرحلة. وبالتالي، فإن الذكرى هي التفكير والبحث والنظر في ملكوت السماوات والأرض لله لا شريك له وتحصيل العلوم والمعارف بما يؤدي إلى خير ونفع الناس وتقدم الحياة ومزيد من العلم والحكمة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

وشأن الله حين يكلفنا شيئاً لم يكلفنا لغرض، أو لمصلحة تعود عليه تعالى، لكن لخير عائد على المكلفين، الممتثلين لأمره. وكما جاء في حديث الرسول «كلكم عيال الله وأقربكم لله أنفع لعياله»، فالله يدعونا إلى العلم والمعرفة به سبحانه الدائم القائم في كل وقت لا تأخذه سنة ولا نوم:

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾[١].

ويتلاعب الملالي بهذه الآية فيقولون ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ تتضمن صلاة المغرب والعشاء. ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ صلاة الفجر ﴿وَعَشِيًّا ﴾ صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾صلاة الظهر.

والحقيقة أن الصلاة فيها تسبيح[٢]. وبفضل الملالي أصبحت الصلاة مجرد صوت وأصوات لا يعوها ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٣].

فمثل الذين كفروا وأشركوا كمثل الذي يدعو سوائمه التي لا تعي شيئاً مما تسمع، وإنما يشعر بجرس اللفظ ورنينه فقط، فالمطلوب التأمل والتدبّر وليس التلفّظ وتعداد السبحات بدلاً من قراءة (القرآن) والنظر والبحث في كتاب الله المشهود في الوجود.

---

(١) سورة الروم، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٢) والتسبيح يرمز إلى الصلاة ولكن التحميد لا يرمز إلى الصلاة. وبالتالي فإن الأية ١٨ من سورة الروم تفيد أن نحمد الله دائماً وعلى كل فضل منه بما في ذلك فضل وجودنا وما وهبه الله لنا.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

إنه موقف محزن وباطل ولو وقفوا عند هذا الحد لهان الأمر. ولكنهم يوزعون سندات بالأجر في الآخرة على كل تسبيحة وقراءة ميتة لكلمات الله مثلها مثل صكوك الغفران التي كانت الكنيسة تبيعها على العباد ليوم السداد بالآخرة ودرجة الجنة بدرجة النجمة الواحدة أم ذات النجوم الخمس؟ وكم تدفع مقابل الصك لكل متر مربع؟ وكم واحدة من الحسناوات وحور العين وخمرة لذة للشاربين؟ وهذه ظاهرة برزت مبكراً. فيروى أن عبدالله بن مسعود وبعض صحبه رأوا في المسجد حلقاً وفي كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول كبروا مائة فيكبرون فيقول هللوا مائة فيهللون ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة (مئة مرة). فقال عبدالله بن مسعود: ما هذا الذي تصنعون؟ قالوا: حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. فقال عدّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. فقد حدّثنا رسول الله أن قوماً يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم وأيم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. في الوقت الذي لا توجد سنة حسنة، إلّا وهي واردة في كتاب الله (القرآن) فأين هم من كتابه قرآناً ومن كتابه سبحاناً، بالعمل والنظر، لا للخبث والخول والعرضية والخبل.

إن الله خالق كل شيء ومحيط بكل شيء أمداً وأبداً. والحمد

والثناء له وحده تعالى قراءة وعملاً وتفكراً وبحثاً. فالتسبيح هو العمل الكثيف السريع. والعمل المجدي وليس العمل الرخيص والخسيس في الشراكة (الشرك) مع الله في ملكه وتصريفه. وتوحيد الله أن لا تدّعي أنك أو غيرك له ملك فقير (إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك) فأين نحن من هذا الهتاف العظيم عند بيته المحرم في كل عام. إن الحمد والثناء والتسبيح (العمل) ينبغي أن يكون قائماً قلباً وقالباً وفي كيان الإنسان وعلمه ووجدانه. هذا الكائن الذي يجهل نفسه وفي نفسه ولا حيلة له ولا قوة إلّا بالله. ولا شك أننا مدينون لله الذي أخرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود. والحمد والثناء والشكر والامتنان مع الذكر بقراءة القرآن أو ما تيسر منه وبأي مقدار، هي صلتنا بالواحد القهّار. والعمل والعلم والتسبيح هو الأجدر والأقدس في العلاقة بين الله والإنسان وكل إنسان. ولا حرج إذا ذكر ربه لفظاً أو بأي طريقة بما أنعم عليه وحباه العقل والقرآن والعلم والتسبيح العملي والفعال.

ويمكن أن يكون الحمد والشكر والثناء قائماً في نيات المؤمنين وسريرتهم وفي إيمانهم بالله، سراً وهو الأفضل، وجهراً إذا اقتضى الأمر التعبير بالكلام دون نفاقٍ أو لغو. وهذه مسألة شخصية والأهم منه الاستقامة وحسن العمل والصلة بالله والقرآن

والجماعة المؤمنة والكادحة لربها باعتبارها خليفة الله في الأرض وفي الحقوق والتبعات سواء للمؤمن وغير المؤمن. المهم أن يعمل عملاً صالحاً لدنياه وأمته باعتباره مسلماً ومواطناً وحقوقه وواجباته محفوظة. وأما في الآخرة فحسابه عند الله ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[1]. و﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾[2]. فالمصير في الآخرة من شأن الله تعالى: إيماناً أو إلحاداً جنة أو ناراً أو رضى عاماً وجنة مباركة. والإيمان إخلاص لله وصلة بالقرآن أو الكتاب الشامل الجامع للوجود والخلق والحياة وأياً كان من آياته جلّ شأنه. والحديث والوعظ والتوجيه مباح لا على أساس الغالب والمغلوب وإنما على أساس أن الإيمان بحث ونظر عن الحقيقة، دون انحياز إلى هذا الاتجاه أو ذلك أو التعصّب والعداء والتمييز بين الجماهير من كل دين وملة. فالإيمان صدق وإخلاص وكفى فلا سبيل للحكم عليه. اللهم إلّا في قادم الزمان أو قادم الآخرة الله أعلم على ألا يكون تكلّفاً أو مقصوداً لذاته أو نفاقاً.

ونعود إلى الآيتين فبينهما تداخل بين (تمسون) (وعشياً) كما يقولون إن (وعشياً) صلاة العصر، ولكن أي عصر؟ ففي اليوم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٥.

عصران عند العرب في عصر البعثة الجماعية المحمدية. كما أن (وعشياً) صلاة (العشاء). وهكذا أجمعوا - اعتباطاً - صلاة المغرب والعشاء والعصر وهذه يضلل فيها رجال الدين الجماهير من المسلمين على أساس أنها المقصودة بالصلاة الوسطى، وقد أشرنا سابقاً إلى ذلك. فهل من مزيد أو مزايدة مشركة في ملك الله وفي تزييف القرآن في المعنى والتفسير والأخذ بكل ما هو نقيض ومضاد للإسلام والقرآن إن أمكن. وإلا فهم في حرب مع الله ورسوله ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

لقد سبق وطمسوا معنى السبحان فجعلوه ترديداً لفظياً وسموه السبحلة وبالمثل الحمدلة. وقد ردّد متولي الشعراوي قول السلف إن الباقيات الصالحات الواردة في سورة الكهف (٤٠) وسورة مريم (٧٦). هي أن تقول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم. فإذا قلتها (٣٠) مرة في اليوم فإنك تكتب عند الله من الذاكرين الذين يدخلون الجنة

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

بدون حساب. وعلى هذا النحو يردّدون القول أيضاً بأن الواحد لو قرأ سورة الإخلاص (٤٠) مرة في اليوم دخل الجنة. وعلى هذا النحو فإنهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً. فمن أين جاءوا بكل هذا العلم الخاشع الذاكر. فهلا تخرجونه لنا إن كنتم صادقين؟ وهل أنتم على اتصال بخبر السماء أم خراصون أو حالمون بأضغاث وأخلاط بسبب الأكل الدسم أو تخمة الليل مع الشراب والأفخاذ؟ بينما التسبيح يكون بالعمل بأقصى طاقة وقدرة على الإنتاج وتحصيل العلم قدر الإمكان ومهما كان ورفع الظلم والحرمان.

وهذا يعني أن صلاة الصبح من أمامه وصلاة المساء من خلفه وخلود النوم لراحته وتجديد طاقته وقوته والبقية لحريته.

وينبغي أن يكون لكل فرد معقبات من العمل الصالح المتعاقب والأعمال التي تقوده إلى رضى الله ونفع الناس. والصلاتان اللتان تتعاقبان صباح مساء وهذا أساس الحياة الطيبة دنيا وآخرة.

والحقيقة يتجومع الكثير من اللغط والسقط في العبادة وأهمها الصلاة والاتجاه العام هو التشديد والتشتيت وقلْب الحقائق وحصار الناس في الزوايا المظلمة بكل الوسائل والمظالم وبمساعدة الدينيين، لترويض الناس والأجناس ولا يفلح في الآخرة

إلّا أصحاب التهليل والموشحات، بل والموبقات والفضائح حتى داخل المساجد والستر ساتر والله أعلم.

وبالإضافة إلى الصلوات الخمس فإنها، أيضاً، ليست كافية، عندهم، لضمان أعلى الجنان، ما يقتضي أن تصلى الضحى والاستخارة والاستسقاء وصلاة السبحة، بينما السبحة حركة وعمل وجد واجتهاد وليس مجرد تريديد ألفاظ.

وهكذا ضاعت صلاة القرآن وصلبوا الإسلام ولكن سيظل القرآن نفسه صخرة كأداء أمام الطغاة والعصاة والإجرام والفساد. وهو، في الوقت نفسه ذخيرة حية للبشرية جمعاء في وجه الظلم والطغيان والحرمان.

وهكذا ضاعت وتحجّرت صلاة القرآن. وهي صلتنا بالله تعالى. وذلك في زحمة العبادات الوضعية والطقوس والطلاسم وخداع السحر والشعوذة على مستوى العبودية والإقطاعية والرأسمالية. فأحلّوا صلاة المال بالباطل محل الصلاة الحقة لله في القرآن. فهي تعبير عن توجه الناس نحو الله الصمد فأداروهم لإبليس الشر والطغيان والفساد. ولكن هذا لا يعني القضاء على دين الحق المبين ولا القضاء على المؤمنين والموقنين بالله ولكنه

صراع ومدافعة وجهاد، ونتيجته انتصار الإسلام كدين موحد لكل الأديان ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[1]. وتوحي الآية في الصعود اللولبي للتطور وفيه نصر وهزيمة وتراجع وتقدم وصحوة وغفلة ويقظة وجهالة. ولكن يبقى الأصل وهو المدافعة إلى الأمام. وهذا ما يوحي به الله في القرآن وأنه لآتٍ وكل أتٍ قريب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[2].

وأكثر من ذلك إن القرآن يبشّر الجماعة العاملة في كثير من آياته مثل ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[3]. وهكذا غدت صلاة القرآن مجهولة لدى المؤمنين الطيبين وهم يحسبونها حقة ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4].

فالعبادة عموماً والصلاة خصوصاً، كما هي في القرآن، ذهبت

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

(٤) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

مع الريح. وتركت المجال رحباً للعبادات الوضعية الزائفة أو الشائنة وإلى الفقه السالف والخرافي الجمعوي المرتبط بمصالح النظام القائم والآيل للسقوط وهذا لا بد حاصل حسب الكثير من بصائر القرآن وآفاقه وتطور العلم والمعرفة (المعروف). أما هم فلا علم لهم بشيء سوى فتاوى خائبة وفقه باطل. إن القرآن دين ثوري تقدمي جماعي، وعلى الجماهير المؤمنة أن لا تأخذ قرآنها من كل من هبّ ودب، وإن القرآن للعاملين الصالحين لا للملأ الفاسدين. والصلاة مذكورة في القرآن وليس فيها أي تعقيدات وهي قائمة ودائمة ومنادية وتنتظر من يلتفت إليها، فليس صعباً إدراكها وتحديدها. فالدين الإسلامي بطبيعته، وما أراد الله له دين سمح حنيف «قل آمنت بالله ثم استقم» وهذا هو الإسلام وكتابه الجامع، القرآن، وهو مخزون ثوري تقدمي، إنساني لا ينفد ولا ينضب مع حكمه، وتوجيهه، وإرشاده، سهل المنال مع شيء من الشرح والبيان ومساعدة من أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

الركوع: خشوع وقنوت

لم يكتف الملالي بتزوير الصلاة من حيث عدد إقامتها في اليوم الواحد، وإنما أيضاً من حيث عدد ركعاتها، وكيف تؤدى

الصلاة. وهذا أمر شكلي وفي الوقت نفسه ليس لدينا مصادر كافية وموثوق بها، والمهم أن نطرح ما يؤدي الغرض والهدف من هذا الموضوع.

لقد جاء في سيرة ابن هشام ص ٢٤٤ أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها. ويشهد لذلك قول الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾[1]. وعلى قاعدة تسمية باسم بعض ما يتضمنه وتواقت التسبيح مع أوقات الصلاة يعني أن تقام الصلاة مرتين (العشي - الإبكار) والمشايخ والملالي لا ينكرون ذلك ولكنهم يرون أن هذا كان قبل الإسراء وفرض الصلوات الخمس، ولكنه مسخ بعد ذلك (والدينيون يعطون معنى مسخ لنسخ) بالصلوات الخمس.

ولكن كلمات الله تلاحقهم فقد وردت كلمتا (العشي والإبكار) في سورة آل عمران الآية ٤١ وفي سورة غافر الآية ٥٥. فما هي الأيات التي مسخت الآيتين معاً حيث ينبغي أن الممسوخ (بالطبع) قد نزل قبل الماسخ، ثم إن الأمر في الصلاة الواجبة قد

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥٥.

تكرر عدة مرات مثل ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[1] و﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[2] و﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾[3] و﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[4].

وإذا كان هناك غموض وتشويه مفتعل في آية واحدة (آية دلوك الشمس) فإن الآيات الأخرى أو أية آية منها كافية للتوضيح حسب قاعدة القرآن.

أما قصة المعراج وفرض الصلاة فإنها مختلفة، بل ملفقة أيضاً، ومخططة بنيات فاسدة وعنصرية وعدائية للإسلام وبالذات القرآن الصامد، ولا أساس لها ولا برهان يثبتها بل إنها وهم وخزعبلات.

والأمر الآخر (وإن كان ظنياً) إنه حسب المرجع السابق آنفاً، أن صلاة القصر نزلت أولاً ثم زيد في صلاة الحضر، والأول ثانوي والأصل صلاة الحضر، وهذا ما يضفي منطقاً معوجاً وتلاليف فاسدة في شأن خطير يستدعي الملاحقة والمداركة.

أما بخصوص عدد الركعات، فتذكر المصادر على أن الصلاة (فرضت ركعتين ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر) ومتى تمّ

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠٥ وسورة الرعد، الآية: ١٥.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢٥.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٠.

(٤) سورة مريم، الآية: ١١.

ذلك؟ وكيف؟ إذا كانت الصلاة قد فرضت في ليلة واحدة وهي ليلة الإسراء. وكتب السيرة تذكر أن جبريل صلى بالرسول مرتين بركعتين. وفي الحديث «ازدلفوا إلى الله بركعتين». وكان الرسول والمسلمونْ إذا طافوا بالكعبة صلوا أيضاً، بركعتين. كما ورد عن الرسول أنه قال: «الصلاة مثنى مثنى وتضرّع وتخشع». كما قال ابن عباس: «ركعتان في تفكر خير من قيام الليل والقلب ساهٍ». وقال الرسول (ص) أيضاً: «من توضأ مثل وضوئي هذا ثم صلى ركعتين، لا يحدّث فيها نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه» مما مضى ولا يعود إلى مثله.

أما تنزيه الله بالقول (سبحان الله) وإذا بلغت النصاب دخل المنزّه الجنة. فكم هي رخيصة جنة الله؟ فهل الله يحتاج إلى التنزيه والطهر والتزكية أليس له الكمال المطلق وكل اسم حِسن وله الكبرياء في السموات والأرض وما يرى وما لا يرى؟

إن القضية بهذا الشكل معكوسة وكأن الله بحاجة لمن يشهد له بالسمو والمجد الأعلى. إن الإنسان هو الذي يجب أن يستقيم لربه وخالقه. والوفاء بعهده مع الله بطاعته والأخذ بشريعته والعمل بأمره واجتناب نهيه وتنزيه النفس الإنسانية ونيل الكرامة والعزة

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾[1] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. والمؤمنون أعزاء بعزة الله وفضله، والنزاهة والتفضيل والعزة إنما تأتي من علم أكثر بالله ومعرفة أوثق بخلق الله وحكمة أشمل بالموجدات لله.

أما أن نطلق هذا اللفظ، أو ذاك بمناسبة وبدون مناسبة ونلوكه (٣٠) مرة فتلك هي البلوى والطامة الكبرى.

وما شرع الله من ذكر للقرآن وذكرى للحياة وعلم بالموجود أوسع وأشمل وأكمل من أن يكون حديث لسان أو ترديد كلام أو لفظاً منتقى.

وحكمة الله في تشريعه، تجعل العبادات الموسومة على قدر مرسوم، لا تصلح النفوس بما دونه ولا بما فوقه، والتقوى ليست بلادة الذهن أو قصور الفكر وإنما هي الإدراك الناضج للحياة وما لها وما عليها والجهل بالله هو الشيطان الذاتي. والملوكية هي الخطيئة الأصلية التي لا تغتفر إلّا بالعمل النزيه والعلم النافع ورضى الله أولاً وآخراً.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

والزيادة على الصلاة الواجبة أو المكتوبة عما هو مفروض، لا بأس بها إذا كان المصلي راغباً في ذلك وتعوّدها بالراحة النفسية أو الطمأنينة القلبية ونحو ذلك. ولكن الإكثار منها مردود كما أن النقص فيها معيب. فإضافة صلاة جديدة مختلقة إلى الصلاة الموقوتة صباحاً ومساءً، أو ركعة زائدة على عبادة أو صلاة القرآن أمر مكروه إذا تعارض مع العمل الصالح أو العلم النافع حتى ولو بركعة واحدة لا أمر فيها بالقرآن. وقد صح النهي عن الصلاة غير الموقوتة في فترة العمل بالنهار. ذلك أن صلاة التطوّع، أو الصلاة الاختيارية لا يؤجر القائم بها ولا يؤثم من تركها أو يتركها.

يقول محمد الغزالي: (وحكمة الله في خلقه وتشريعه، تجعل العبادات المرسومة على قدر مرسوم لا تصلح النفوس بما دونه ولا بما فوقه).

ولكن ما هو غريب وعجيب دعوى المنحرفين أو المحرفين، على أن القرآن تضمن كل شيء وأحاط بكل كبيرة أو صغيرة. وفي الوقت نفسه يقولون إن القرآن ترك أمر الصلاة بلا تحديد سواء من حيث الوقت الضابط أو عدد الركعات، وهذا تجديف وتنقيص لله ورسوله والقرآن (اللهم عفوك). وفي الوقت نفسه يدعون أن الصلاة عمود الدين، ورأس العبادة.

إن القرآن شرح حتى الوضوء فما بالك في الصلاة؟ كما أن الرسول لا يتجاوز القرآن إطلاقاً وبأمر من رفيقه الأعلى جلّ شأنه.

وعلى كل حال فإن الأحاديث وإن كانت صحيحة الإسناد والنقل والتواتر، فإنها لا يمكن أن تكون برهاناً أو حجة على إثبات أمر عبادي أو صلة تواصل بين الله والإنسان. وخير الصلاة ما لم يرك فيها أحد سوى الراكعين الساجدين في بيت من بيوت الله. فهل تفتح أبواب المعابد أمام كل مؤمن وعابد؟

ويتكلم الملالي على أن الآخرة أهم وأولى من الدنيا، ولكنهم يخرصون ويخرسون بعد ذلك ويتركون الناس معلّقين ببيت العنكبوت، بينما مصير الإنسان في الآخرة هو عمله في الدنيا. فلا شك أن الآخرة خير وأبقى، ولكن العمل المتقن الصالح هو الطريق إلى حياة الجنة. والإيمان والصلاة هداية ورشاد ومعالم للمسيرة في الدنيا والموصلة إلى الحيوان، أي الحياة الحقة في المعاد، بعد العقاب والثواب حسب العمل الدنيوي. فالدنيا فرصة ولا حياة سعيدة في الآخرة إلّا منها وبها ولها. والإيمان هو البصيرة المرشدة في الطريق إليها. والصلاة (العبادة) هي التعبير الظاهر للإيمان بالله والاستئناس به والاستحضار لعظمته ورحمته، ولكن شروط الصلاة وغيرها من العبادات لا تستدعي توافر هذه الشروط

والأحوال إلّا على مستوى الافتراض، والنموذج الأمثل لصلة العابد بربه بل وأكثر من ذلك هو أن إيمانه بالله وقيامه للصلاة يؤدي إلى تحقيق شروط الصلاة والتوجه بها إلى الله. فالأجواء والأحوال بتمامها ليست شرطاً مسبقاً للصلاة والعبادة وإنما قد تأتي وتتحقق بالمداومة وحسن التوجّه. إذن شروط أو أركان الصلاة هي نتيجة الممارسة والإيمان الحي؛ فالعلاقة بين الصلاة وشروطها علاقة جدلية متناغمة. وتتبادل السبب والأثر والمقدمة والنتيجة والفرض والتجربة والمشاهدة الحسية والإدراك العقلي والعلمي.

وهذا يعني في الحقيقة أن موضوعة الصلاة تتفاوت من شخص إلى آخر لأنها تتم بين الإنسان وربه ثم يلفها الغيب والغيوب عند الله. لكن هذه النظرة تعتبر سليمة على المدى البعيد، فصلِّ أيها الإنسان لأجل الإنسانية مهما طال زمن قطوفها والعبرة في الخاتمة والإيمان. إن أهم ما في الصلاة ليس أداءها فقط كواجب أو فرض، وإنما إتيانها مقومة تامة في جوهرها، وكاملة في ظاهرها. وإذا صاحب ذلك خشوع وقنوت أو الفهم في الاتجاه نحو الله الصمد، أي المصمود إليه والمقصود نحوه أو الإخلاص في الاتجاه لله. والإسلام هو الإخلاص بالإيمان بالله على أي

ملة كان ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[1] ومحسن في العمل. وذلك يكون إذا تذكرت أنك واقف أمام الله وبين يديه. وتذكرك العهد والصلة بالله الخالق والقيوم على كل شيء وهو الواحد الأحد.

وينبغي أن يصلي الشخص وهو صافي الذهن فلا يشغله شيء وهو يصلي وألا يفكر إلّا فيها. وفي التفسير الواضح يقول محمد محمود الحجازي: «وأن تفهم أن الصلاة الناقصة تلف بخرق بالية وترد على صاحبها». ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2]. ودون شفاعة من أحد، إلاّ العمل الطاهر من دنس الشرك ومرض النفاق، والقلب السليم بالإيمان، والعمل الصالح. وأن يكون متحرراً من آفات وخرافات الدين الباطل أو معتمداً على شفاعة الرسل والأولياء وأصحاب الكرامات، فهذا أفيون الشعوب وضلال الناس ومحنة المؤمنين الصادقين الذين لا تتقبل عقولهم الخرافة أو المعجزات أو الشعوذة أو السحر. فهم مؤمنون حقاً ولكنهم واقعون تحت الابتزاز والجهالة في الدين. فمثلاً تعتبر الشفاعة من مخلفات الديانة الوثنية الشركية، ولكنها قائمة إلى الآن

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

بحسب الملالي المشركين. بينما قال النبي (ص) لبنته فاطمة: «يا فاطمة اعملي، فلن أغني عنك من الله شيئاً» ولا شفاعة لأحد في القرآن إلّا العمل الصالح والإيمان الخالص. وإذا كان الأمر كذلك ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾[1]. ووثنية العرب قبل الإسلام كان أساسها أو قاعدتها الشفاعة لآلهتهم عند الله، ولكن هذه الدعوة لا تصل إلّا إلى قلوب السذج من الناس آنذاك هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإنها تلبي مصالح وأهواء الملأ التجاري والربوي والسحتي إلى جانب الكهنة والسحرة وهم الجبت في القرآن.

إن الصلاة صلة العابد بربه من خلال الكتاب المقدس، وهو القرآن عند المسلمين والمؤمنين بالله، والله هو الصمد والقصد. وبالتالي فإن الصلاة تعني التوجّه إلى الله ومناجاته تعالى. والصلاة تجعلنا على صلة بالقرآن ومنزله، وتنظيم للوقت في حياة الناس وإعطاء قيمة للزمن. فالوقت سبب في إقامة الصلاة، فالناس تنام ليلاً ولها فيه فراغ، وتصحو نهاراً ولها فيه عمل، ولم يبق إلّا الأطراف. كما أن الوقت شرط للصلاة أيضاً. فهي تصح مساءً وصباحاً. ولا بأس في صلاة الزلفى أو القربى ليلاً ولكن في ساعات قريبة إلى النهار. وهي تطوع واختيار. أما صلاة النهار أو أي وقت منه فإنها

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٤.

صلاة باطلة. اللهم إلّا للذين يعملون ليلاً. والصلاة صباحاً وقبل العمل تعني التحية لله والتوكل على الله في العزيمة للعمل، وعند مباشرة العمل. وصلاة المساء حمداً وشكراً وامتناناً لله على ما آتانا في عمل النهار ووداعاً للقاء يوم آخر حتى يأتيك اليقين.

كل ذلك غذاء للروح وطاقة للعمل، والإنسان فعل وقيم، وإيمان وإخلاص. والعقبى الحميدة هي جزاء العمل الصالح. والعقبى البائسة جزاء العمل الطالح وتلك هي الجنة والنار.

والمسلم الحق يعمل بإرشاد وهداية من الحق المبين والقرآن الكريم، ولتكن صلاة الجماعة تواصلاً بين المؤمنين وأمراً بالمعروف للإنسان حتى الآن، والقضاء على المنكر والجهل بالأبجدة والتثقيف. وهذا ذكرى للذاكرين الله والمهتدين بالرسول الجماعي. وبهذه الطريقة يسبّح الناس. ولكن يجب التأكيد أن الصلاة قد تتضمن التسبيح، ولكن التسبيح في ذاته ليس صلاة. أما الدعاء فليكن دعاءً حقاً لا تعسف فيه. وليس مجرد تحقيق مطالب. كما أننا يجب أن نستجيب لله أولاً قبل أن ندعو دعاءً خائراً أو نسأله الاستجابة لنا. بينما نحن على بعد سحيق من القرآن ومن إقامة نظام الإسلام وهو شريعة الله للبشر أجمعين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]. فالله يحيي بالقرآن موات الأمم والناس والأشخاص ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]. أما أنت رسول الحرية والإيمان ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

وهكذا نصل إلى أن **الذكرى** حكمة الإيمان والصلة مع الله بالقرآن والتواصل مع الإسلام والأديان على الوجه الآتي:

- الذكر: وهو القرآن ونقصد قراءة القرآن في الصلاة والعبادة عموماً.
- التذكرة: دراسة، أو تعلم القرآن الكريم وكيفية تأويله أي تحقيقه في الواقع العملي المشهود، وعن طريق، أو بواسطة المعروفية أي علم ومعرفة.
- الذكرى: وتضم العنصرين أعلاه مع حكمة الدين والإيمان بالمبدأ والمعاد.

والله يدعونا إلى الوعظ والإرشاد الصادق بصدق الرسول

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

والقرآن والدعوة إلى العمل النافع والدائم وذلك ذكرى للذاكرين والغافلين عسى أن يهتدوا رشداً.

والذكرى للذاكرين الله علماً وعملاً وحكمة وعبادة، لا لغواً ولا اتكالاً وإنما توكلاً على الله، عند الشروع في العمل لتحقيق أي إنجاز مثمر أو منتج أو أي كسب مشروع. والتوكل على الله بعد عزم العمل ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1] في كل فعل وأمر وشأن.

والإقبال على القرآن هادياً ومرشداً وهَدْي الرسول قدوة ومثلاً أعلى. وقد كان أحمد الناس لربه، وكان هذا اسمه وصفته في الرسالات السابقة بالمعنى وليس باللفظ، أما محمد فهو تسمية له، وقد رباه الله على ذلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[2]. فاسعَ واعمل حامداً، شاكراً لربك. بل ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[3]. وسبح يعني اعمل واشتغل وأنتج واكسب كل ذلك بفضل من الله فينبغي أن يكون باسم الله تعالى لا غيره. إن الصلاة لها دور ووظيفة في حياة المؤمنين وفيها قوام وجودنا الروحي ووقود

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٨.
(٣) سورة الأعلى، الآية: ١.

للحركة والتقدم وتمام المكارم في الخلق والسلوك. ويكفي أنها تأمر بالعمل الحسن وتنهى عما هو فحشاء ومنكر (جهل وجهالة) والأكبر من ذلك: زيادة معارفنا بالله تعالى في كتاب الوجود وفي الكتاب المقروء. والبحث والنظر عن الحقيقة دائماً. فالحقيقة ليست جاهزة وليس لها حدود. وعلينا أن ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[1]. والحمد والثناء على ما أعطى ولم يمنع.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[2].

أما الحب الشخصي والتعاطف والتعاون فأمر مشترك بين جميع الأديان والكتب السماوية. وهي من الأصول العامة لكل دين. وعموماً فإنها تتعلق بالأخلاق على المستوى الفردي وكيف يكون الإنسان محباً للإنسان. وقد أشار القرآن إلى النبي الجماعي محمد (ص) ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

والمسيحية والإسـلام يجمعهما حسن السلوك والمحبة والتكريم والإخـلاص والرحمة. وفي سبيل خير حياة. وهي الحياة الطيبة دنيا وآخرة ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾[1]. والمؤمنون بالله جميعاً يرون أن الصفح والعفو والسماحة من قيم الدين، بل ووسيلة ومصدر لكسب معارف وأصدقاء ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[2].

أما على المستوى الاجتماعي العملاني فإن الأمر مختلف. فقد أرسل الله إلى الناس أنبياء ومصلحين وحكماء وأنزل لهم الكتب والصحف وكل ما به من عزم العمل في سبيل حياة طيبة لكل الناس، وكانت جماهيرهم ونصراؤهم من الفقراء والمعوزين وعبيد الله الكادحين.

يقول محمد الجماعي (ص): «أبغوني في ضعفائكم وهل ترزقون وتنصرون إلّا بضعفائكم؟».

ولما كان هذا هو وضع الأمور فقد نادى كل الخيّرين بالقضاء

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٥.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

على الظلم لأنه لعنة الملوكية والملكية الشائنة المغتصبة وكل العذابات المهلكة للناس. وهذا يعني أن دافع الحب والرحمة هو تحرير العاملين من العبودية والتبعية والطبقية مع حب البشرية جمعاء، ورحمة رب السماء للضعفة والفقراء. وهذا ليس الحب الشخصي أو المساعدة الفردية، أو التعاطف الجنسي، وإنما المطلوب هو الرحمة بالبشرية جمعاء. إن المطلوب ليس المكرمات وإنما وقف العنف والحروب وتيارات الدم المسفوح وتحرير الإنسان من الظلم والطغيان والاستعباد للإنسان، هو الرحمة العالمية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1] وقوله (ص): «إنما أنا رحمة مهداة».

ولكنهم يظلون رحماء ومتحابين في الله وأشداء مع الطاغوت والطغيان ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[2].

وعلى أمد البشرية وإلى الآن، قاد وحشد ونظم الرسل والمصلحين جحافل من المؤمنين ضد الطغاة والعصاة ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[1] حتى أقام خاتمهم سلطة الله، أي سلطة الجماعة العاملة.

وهكذا ينبغي العمل لنرسي حكم الله بالعلم لا بالجهل وليس المطلوب إلّا بهذه الحدود:

عدل موسى - محبة المسيح - رحمة محمد وأبي الأنبياء إبراهيم.

فهل يمكن بعد هذا أن لا نفرّق بين الأمر الشخصي فندير الخد الثاني بعد الأول.

إن الملأ لا يزالون يطحنونَ الشغيل ويسحتون قواه، فأين رجال الدين؟ وهل هذا هو الحب الذي ينشدون؟ وأين هم من الرسل والحكماء الذين كانوا يفجّرون الثورات وعاشوا حياة الزهد والتقشّف والكفاح على هدى من كتاب الله؟!

إن رجال الدين، شرقاً وغرباً سند الرأسمالية الجائرة والاستعباد الأمبريالي. وهم أعداء الله قبل عداوة الناس وقد قالها بوش: «ستكون الحرب على الإرهاب حرباً صليبية». أما لماذا وكيف ظهر الانتقام؟ واستغلال الدين في العلاقات الدولية والقتل للفقراء لا للفقر وتدمير لا تعمير.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

لقد قادت الرأسمالية الامبريالية حربين عالميتين أودتا بحياة سبعين مليون إنسان. ولم تدخل الأسلحة النووية في حرب إلّا من قبل دولة واحدة هي (أميركا). كما صاحب ولادة الرأسمالية الخائرة طوابير من السود المصطادين في شباك كالحيوانات. ثم حركة الاستعباد التي راح ضحيتها ملايين الناس في فيتنام والجزائر مما لا مجال لذكره الآن إلّا قول الشاعر:

قتل امرىء بجريرة مسألة لا تغتفر

وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر

الصلاة وهدي الرسول

بعد أن تكلمنا على الصلاة وعددها وشيء ما عن أركانها أو عناصرها وما إلى ذلك بالاعتماد التام على القرآن تقريباً، ولم أجد فرصة للجرد والبحث في الحديث النبوي وحجيته، لأن هناك الكثيرين ممن كتبوا في ذلك ولا يزالون إلى حد الإسراف، لأن الكل يجد بغيته في مصنفات الحديث، فكتب عنه أكثر مما كتب عن القرآن الكريم. ولكن مَرَرْتُ على الكثير من أحاديث الرسول. ورأيت أن أذكر بعضها هنا ولكن دون شرح أو تعليق لأن الصحيح منها لا بدّ وأن يكون له علاقة بالقرآن. وأما ما يخالف القرآن فلا قيمة له ولا يعتد به. وإليك الأحاديث الآتية:

١. من استطاع منكم أن يشهد الصلاتين – العشاء والفجر – ولو حبواً فليفعل.

٢. إن هاتين الصلاتين – العشاء والفجر – أثقل عبادة على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبواً على الركب.

٣. من صلى البردين دخل الجنة.

٤. من صلى العصرين دخل الجنة. ومن معجم (مختار الصحاح) نجد أن (ع ص ر): «العصر» الدهر وكذا «العُصر» والجمع: عصور.

ـ (العصران) الليل والنهار. وهما أيضاً: الغداة والعشي ومنه سميت صلاة العصر والعصران. أما البردان فهما خفة حرارة الشمس وانخفاض درجتها.

٥. لكل فرد من الظاهر أو المستتر معقبات من الملائكة (عباد الرحمن) يتعاقبون على حفظه بالليل والنهار في وقت صلاة الصبح وصلاة العصر. يتبادلون الحفظ والرعاية (وهذا تمثيل).

٦. من صلى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة.

٧. إنكم سترون ربكم كما ترون القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ﴾[1].

٨. لن يلج النار رجل صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

٩. من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما صلى الليل كله.

١٠. (الصلاة مثنى مثنى وتضرع وتخشع).

١١. ازدلفوا إلى الله بركعتين.

١٢. قال صحابي للرسول: مرني بأمر جامع إذا أنا فعلته أجزأ عني. فقال الرسول: (حافظ على العصرين) وما كانت من لغتنا. فقلت: وما العصران؟ فقال: (صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها).

١٣. وأسلم رجل على أن لا يصلي إلّا صلاتين فقبل الرسول منه ذلك.

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٠.

١٤. إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلّا وغلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من «الدلجة» = نافلة.

١٥. من استطاع منكم أن يشهد الصلاتين العشاء والفجر، ولو حبواً، فليفعل.

وعلى المستوى الفردي، فإن مداومة العمل الفاسد من ظلم وانحراف واسترسال في الشرور والآثام، يجعل الفرد لا يذعن لأخبار الآخرة والتصديق بها أو أخذها مأخذ الجد، وتكون نفسه طامحة جامحة وغافلة أو هائمة بالأماني الباطلة. والغفلة تضاد الذكر. فمن غفل في جميع صلاته، كيف يكون مقيماً للصلاة لذكر الله، وهو ساهٍ عن ربه ولسانه يتحركِ بحكم العادة. إن صلاته محظرة إلّا أن يتغمّده الله برحمته. وإلّا فإن التمادي في الفساد يتحول إلى ملكة عند الإنسان، فيعمل الشر بلا تفكير ولا روية. فقد مرنوا ودربوا حتى اسودت قلوبهم ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1]. ودان على النفس والطبع الفساد والضلال ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.

يَكۡسِبُونَ﴾[1]. وبالتالي، فإن الإيمان (الصدق) والافتراء (الكذب) ذو طابع جمعوي (طبقي). فقد دان وتراكم الفساد على النفس، فلم تعد تبصر الخير على أنه خير. ويزداد الركام كلما زاد تراكم المال. ودور الملالي هو الخداع والتضليل والنفاق. بينما خفض الخداع المحيط بالإنسان هام جداً لمعرفة الحقيقة. وهذه حقائق قرآنية نادى بها العلم الحديث، مثل مدرسة علم نفس الجشطلت - أي الهيئة. بينما بنى الملالي أسواراً من الأديان والمذاهب الباطلة باسم الإسلام وحول المسلمين.

ومما يدل على أن الصلاتين المكتوبتين كانتا - وينبغي أن تكونا - اسم علم على الصلاة طرفي النهار - ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾[2] هي أنها شائعة في الأدب الإسلامي وعند الناس، وجلّه شعر. فيقول الشاعر الأعشى:

وسبح على حين العشيات والضحى

ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وهذا يعني الصلاة صباحاً ومساءً (معجم ابن منظور).

وجاء ذكر البردين في قصيدة المعري المشهورة:

---

(١) سورة المطففين، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٤.

قال المنجم والطبيب كلاهما   لا تحشر الأجساد قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر   أو صح قولي فالخسار عليكما
طهرت ثوبي للصلاة وقبله   طهرٌ فأين الطهر من جسديكما
وذكرت ربي في الضمائر مؤنساً   خلدي بذاك فأوحشا خلديكما
وبكرت في البردين أبغي رحمة   منه ولا ترعان من برديكما
إن لم تعد بيدي منافع بالذي   آتـي فهل من عائد بيديكما
بُـرْدُ التقي وإن تهلهل نسجه   خير بعلم الله من برديكما

وقال آخر:

ولن يلبث العصران يوم وليلة   إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وأخيـراً، فإنني أود أن أنقل نظرة إلى الإسلام، وبالذات القرآن - من مستشرق مسيحي، ولكنه موضوعي يقدر الإسلام والقرآن تقديراً عالياً دون انحياز مسبق ضد الإسلام كما هي الحال بالنسبة إلى معظم المستشرقين. وإليك ما فهمه من القرآن عن الصلاة. فيقول:

لقد ورد الحثّ عليها في السور المكية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[1].

---

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤، ١٥.

غير أن شيئاً من التوسع في تنظيمها وفي عددها ورد في السور المدنية. مثل ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[1].

ومن هذه السور نجد أن الملموح من عدد الصلاة يبدو ثلاث صلوات فقط. أما صلاة الليل - وكان الرهبان النصارى السريان يقومون بمثلها - فهي نافلة (زيادة). وفي صلاة الجمعة خطبة موجزة من فترتين يجلس الخطيب بينهما لحظات، ويذكر فيهما الله ورسوله. ويقرأ شيئاً من القرآن. ثم يأتي فيها على معالجة شأن من أمور المسلمين الجارية. انتهى.

إن بلاء الدين هو تحوله إلى طقوس وتلاوات وتهاليل تدعم السلطة وتضلل الناس وتثري رجال الدين دون كدح أو نصب. فانقطع عن ملاحقة الحياة والتقدم والتطور واكتساب المعروف علماً ومعرفة، والحياة الحرة الكريمة، والعبادة اللائقة بالله تعالى والنافعة لخلقه، والمرشدة لهم دنيا وآخرة بدلاً من هيمنة رجال الدين على ضمائر المؤمنين وحياة الإنسان الروحية.

غير أنه - كما ظهر أنبياء ورجال دين كذبة قديماً - يوجد اليوم

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

متاجرون من المشايخ والمراجع بالدين، والدَعْوة الخالصة لله. فأضاعوا الدنيا والدين، وأفسدوا الحياة والإحياء وغيبوا القرآن عن الإنسان وقبروا الإسلام وأطبقوا على عقول البشر وساروا في قافلة الملكية والظلم والحيونة، وتحولوا إلى شرطة دينية للأنظمة الباطلة الفاسدة والمجرمة.

إضافة إلى ذلك فإن الصلاة الفردية ليست على نمط واحد إلّا صلاة الجماعة. وإن كان الناس اعتادوا القيام بها حسب (نموذج) معين، ولا بأس في ذلك. ويروى عن رسول الجماعة أنه كان يصلي أحياناً وهو واقف، يقرأ القرآن لساعة أو أكثر أو وهو جالس. ولكن هل هذه مذاكرة للقرآن - كما يبدو لي - أم هي صلاة. كما أن الرسول كان يأمر بلالاً أن يدعو إلى الصلاة إذا حزبه أمر وليس شرطاً للصلاة. كما أني لا أدري لماذا نستخدم كلمة فرض وفروض. فالفرض مفهوم علمي بوضع أمر ما أو قضية ثم نبحث وننظر ما إذا كان له برهان أم لا.

وأخيراً فإنني ألفت نظر القارئ إلى أنني تطرقت إلى هذا الموضوع في كتاب «من حقائق القرآن» وهذا تفصيل أكثر. ولكن هناك بعض النقاط تركتها كما هي في الكتاب المذكور.

ولكن هناك معلومة لم أتطرق إليها وهي أن فكرة الصلاتين والصلوات الخمس كانت معروفة للناس قبل الإسلام مثل عدد الوجبات في اليوم الواحد.

فالصلاة المعتادة لعامة الناس مرتان في اليوم وركعتان. أما الصلوات الخمس فكانت تعتبر الصلاة المثلى. وهذه يؤديها الرهبان والأحبار في صوامعهم أو في الأديرة. وكانت مضرب المثل. وقد ذُكر ذلك في سيرة ابن هشام. وأشار إلى قس نصراني وآخر يهودي. وكان الأول يلقب بالأسقف الصالح. وكان الناس يقدرونهم ويقولون إنهم يصلون الخمس وطبعاً يؤدون طقوساً أخرى كالصيام أو قراءة كتبهم المقدسة وكانوا يلتزمون بالزهد والتقشف. وهذه الرهبنة لم يقرّها القرآن ولم يأخذ بها المسلمون على أساس لا رهبانية في الإسلام. فقال تعالى:

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[1].

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

كما أن هناك معلومات متناثرة يتبيّن منها أن العبادة بالصلاة مرتين في اليوم تقليد راسخ في أكثر الديانات باعتبارها شعيرة سارية لمن يريد الصلاة ويعبد ربه حتى مع الشرك والوثنية. فالناس في الجزيرة العربية كانوا يؤمنون بالله ولكن لا يوحدون، وإن كانوا يعتبرون أن الله هو أكبر وأعظم إله. وأن الآلهة الأخرى وسيلة للتقرّب إلى الرب الأكبر. وهذه تعكس درجات من التجريد في الدين حسب مبدأ التطور التاريخي للبشرية. وتعكس درجة عليا من التقدم العلمي.

وبعد البعثة المحمدية وقبل وحي الصلاة أو الأمر بها في القرآن، كان الرسول إذا أسلم شخص يوصيه بالصلاة الخماسية كحد أقصى، فإذا استفسر أكثر أو تثاقل يوصيه بالصلاة الثنائية كما جاء في حديث عن الرسول يفيد أن رجلاً تسميته عبدالله بن فضالة، فبعد أن أسلم قال له الرسول حافظ على الصلوات الخمس. فقال: إن هذه ساعات لي فيها أشغال، فمرني بأمر جامع إذا أنا فعلته أجزأ عني. فقال له الرسول: (حافظ على العصرين، أي أول النهار وآخر النهار). ثم نزل الوحي بإقامة الصلاتين فقط. والباب مفتوح لمن يريد أن يصلي أكثر، ولكن ليس على حساب العمل أو تحصيل العلم والمعرفة.

ونستطيع أن ندرك أيضاً أن الجيل الأول في الإسلام كان منخرطاً في حركة ثورية لاهبة وحماسة للإسلام ومتابعة لما ينزل من وحي على رجل منهم ويعيش بينهم، فيعبدون الله إلى الحد الأقصى. وربما يصلي بعضهم أكثر من الخمس. بل وصيام وتقشف أدى بالكثير منهم إلى الاعتكاف والتفرّغ للعبادة. وكان الرسول يستاء من ذلك، ويحث المسلمين على أن العبادة الأولى للإنسان هي العمل لوجه الله، أي الإخلاص وإتقان العمل وهذا هو معنى الإحسان أي العمل والسعي بأقصى كفاءة. أي بأعلى إنتاجية بمفاهيمنا الحالية. فالإحسان هو إحسان العمل والكسب. وليس الرهبنة والعبادة إلّا في حدود معتدلة، والاعتدال في الصلاة هو الحالة المثلى والمطلوبة. بل كان الإيمان والعبادة المحددة وقود العمل والنشاط وأعلى مراتب العمل هو العلم النافع والحكمة القرآنية باعتبارها معالم الطريق إلى رضوان الله تعالى.

وهناك الكثير من الصلوات كصلاة التراويح أو تحية المسجد أو ما يسمونه بصلاة السنة وصلاة الاستسقاء وصلاة الاستخارة والضحى وغيرها. وكلها ألغيت وثبتت الصلاتان.

وهذا يلغي أيضاً ما يروى كذباً في حديث المعراج والصلاة الخماسية. بينما جاء من مرويات أخرى أن الرسول أمر أن يصلي

مرتين في الصباح (قبل الشروق) وفي المساء مع دلوك الشمس. وما شاء في أول الليل زلفى وقربات أخف من الصلاة الأصلية. فالليل للنوم والراحة استعداداً للعمل والكسب في ساعات النهار. وكذلك كانت صلاة داود وقبله إبراهيم ومن بعده الأنبياء والرسل، وقد أسمى القرآن هاتين الصلاتين «الفجر والعشاء». ولم يذكر القرآن أية صلاة أخرى بالاسم. فلا ظهر ولا عصر (بالمعنى الجاري المزيف) ولا مغرب. وهذه صلاة كل الوجود بلسان الحال أو المقال وبركعتي تحية وحمد.

وهكذا نرى أن القرآن قد حدّد - عكس ما هو شائع - أوقات الصلاتين مصداقاً للآية ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1]. بما في ذلك أمر الدين والهداية والإرشاد. ومنها صلاة الشروق وصلاة الدلوك.

والدينيون لا ينكرون ذلك ولا يستطيعون الإنكار لأنه ثابت في تاريخ الثورة الإسلامية ولكن راحوا وحرفوا معنى النسخ على أنه آية تنقض آية أو آيات أخرى. وادعوا أن صلاة الرسول الأولى (نسخت) برؤيا المعراج. ويكفي الرد عليهم أن نقول: إن النسخ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

والمعراج - وكثيراً مما يطرحون - أوهام لا حقائق. ولذلك - وما دامت المقدمات وهمية خرافية - فالاستنتاجات باطلة.

والصلوات الخمس اليومية عبء وتكليف غير عملي خصوصاً في حياتنا المعاصرة. حيث أصبح العمل منظماً بقوانين تحدّد عدد ساعاته وعدم إمكانية تأجيل عمليات الإنتاج للصلاة في المؤسسات وميادين العمل، لأنّ توقف عامل واحد قد يؤدي إلى إرباك خطوط الإنتاج، والتثاقل والنفاق والملل والتقوى المظهرية ظاهرة ملموسة وقائمة، ولا حاجة لله في ذلك. ونفياً لمبدأ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1] «إذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم». وقد وضع كثير من السلف مبادئ وقواعد وأصولاً رائعة والكثير منها ضائعة أو مطمورة، ولما لم يتمكنوا أن ينالوا من القرآن فقد جعلوا عليه ظلمات بعضها فوق بعض وصيّروه معجزة يقف العقل والعلم تجاهها بلا حول ولا قوة. بينما المعجزة والمعجزات ليست إطلاقاً مفردة من مفردات القرآن، بالرغم من أن المسلمين الأوائل فهموا أن المعجزة هي العمل الرائع أو العلم الرائد، أي الإبداع في أي مجال. ونظروا إلى القرآن على أنه حجة وبرهان وبيان وليس مخراقاً أو مخاريق للحيرة والانبهار والأسرار التي لا

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

يفكها إلّا الأولياء من المشيخية أو المرجعية، والكلمة في القرآن لها سبعة أبطن أو سبعون على غرار البابوية والحاخامية وصليبية بوش ومبلغهم من العلم أقل من مبلغهم من الجهل.

وهناك شواهد تاريخية وإن كانت محدودة بسبب الضياع أو الإتلاف. ومن ذلك أن الخوارج كانوا يصلّون الفجر والعشاء فقط بالرغم من تشدّدهم في الدين. ويصح هذا على كثير من الفرق المعارضة. وحتى الآن هناك بقايا في كثير من الدول الإسلامية يأخذون بالصلاة الثنائية التي كانت تسمى في عهد البعثة صلاة العصرين أو البردين. وفهموا أن ما زاد على ذلك تطوع أو بسبب الغفلة والجهل.

وحذار الصلاة أثناء ساعات العمل مع الإدراك التام: أن كل صلاة بركعتين فقط، ولك أن تطيل كما تشاء، وقوفاً أو جلوساً، في قراءة القرآن والتأمل والتنبّه لما فيه بصفاء ذهن من زحمة العمل. أما إغلاق مؤسسات العمل والمحال أو توقف العمل للصلاة، فليس مقبولاً ولا مطلوباً، وكسب الإثم فيه أرجح. كما أن كلامنا هذا موجّه إلى الرجال والنساء، وللمرأة حق الحضور في بيوت الله، كما يجوز أن تكون إمامة كأم ورقة في عهد الرسول (ص). والمنع

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ وظلم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[1].

والصلاة عبارة عن قراءة آيات من القرآن مع التدبر والفهم (ما أمكن). ولكن هذه الصلاة مشوبة بكثرة مما يسمونه صلاة السنة، والسنن لله لا لأحد، والرسول مأمور بالتبليغ فقط وإن كان بالنسبة إلينا هو المثل الأعلى والاقتداء به مطلوب الله، ولكن الاقتداء شيء والتشبّه به شيء آخر وسخيف، فهو حامل رسالة الله وعلينا أن ننظر إلى عزيمته ومبادئه وكفاحه وجهاده وتقشّفه وزهده وثورته الكبرى، ومسؤوليتنا أن نجدد هذه الثورة في ضوء كتاب الثورة (القرآن) وسيرته النبوية وما ثبت من أحاديث بدل أن نقول إنه أشرف الرسل والخلق، فهذا شأن الله لا شأننا.

كما أن كثرة السبحلة والحمدلة - تشوش إيمان المسلم الفرد، إضافة إلى التهليل والتكبير، بينما يكفي حمد الله وشكره عندما ننجز شيئاً من العمل أو المهام التي تلبي حاجات الناس. والصلاة مع شيء من الذكر لا بأس به ولكن ذكر السبحان ليس من أركان الصلاة. وهو في ذاته ليس صلاة، وإنما هو موضوع علم

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٤.

وعمل؛ فالسبحان هو الوجود بأكمله، إنه كتاب الله القائم الدائم بدوام الله إن شاء. والقرآن كتاب الله المقروء، والشيء الشائع بين الناس، أنه كلما زدنا وبالغنا بالعبادات وتشددنا بأحكام الدين كان ذلك أفضل. بينما الأصل في العبادات والشعائر ألا يزداد فيها، والتقليد الأعمى يبطل الصلاة، والقاعدة هي التيسير، واتقوا الله حق تقاته بالعمل الصالح والإيمان الخالص لوجه الله وهو لنا ومن أجلنا والعبادات قشرة الأديان الطيبة ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[1] و﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[2].

والمعضلة هي أن رجال الدين يجهلون حقائق الحياة الجارية وإن بدرجات. كما أن الناس - مع الأسف - يأخذون دينهم من الملالي الذين يحترفون الدين، ومنه يستمدون أرزاقهم؛ فهم موظفون لدى السلطات الحاكمة، وهم يعرفون ماذا تريد الأنظمة في الدول الإسلامية، وإذا كان عندهم قصور تأتيهم خطب وأحاديث جاهزة، وجعلوا في كل دولة مفتياً أو مرجعاً، وبدل أن يكون الدين للشعوب أصبح للقصور من عهد معاوية إلى الآن. وهكذا التفت

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٨.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

الأديان الباطلة حول رقبة الدين الحق. دين رب العالمين. وثبتت معانٍ خاطئة، بل ومزيفة لآيات الله وكلماته.

ونحن لا نريد أن نعمم ذلك. فلا شك أنه برز علماء وفقهاء كان رائدهم الحق والحقيقة. وقد أثروا الدين الإسلامي، وعلوم القرآن والفقه ما لم يصل إليه أحد من الحضارات الأخرى في ذلك الوقت. بل وقف كثير منهم وقفات بطولية حتى الشهادة. وقول الحق أمام السلطان الجائر، ولكن الكثير من إنتاجهم مطمور إلى الآن. كما تقادم جزء كبير من التراث النصي، إلّا أن المبادئ والقيم والحكمة والأصول العامة لم تزل حية إلى الآن.

إلّا أن الصبية الدينية من أزلام الحكام لا تزال هي السائدة، والأدهى من ذلك أنها لا تحيي إلّا ما هو خرافي ورجعي من التراث من ناحية، وجاهلة بالمستوى العلمي والمعرفي الذي بلغه العالم المتطور بينما هم لا يزالون من فضلات عصور الإقطاع وبركة الرأسمالية الإمبريالية التي تريدهم أن يظلوا في المستوى الذي هم فيه فعلاً.

ومن ناحية أخرى فقد تأثر علماء المسلمين وعامتهم بما وضعه الأحبار والحاخامات فيما يعرف بالإسرائيليات. وقد تصدّى، في الوقت نفسه، علماء وفقهاء وفلاسفة، لتصفية الفكر

والتراث الإسلامي من الدس والتلفيق والحكايات والأساطير الخرافية الواردة في الكتب والأسفار الدينية لدى رجال الدين اليهود، وشاركهم في ذلك رجال الدين الباطل ضد الدين الإسلامي الحق، باسم الإسلام.

القرآن وإشكاليات الزواج

مدخل

تتوجه السهام إلى القرآن من كل جانب، فهناك تشويه وتشويش على قول القرآن ومنطوقه من خارج الدين الإسلامي بل وكل دين. وهؤلاء أعداء مكشوفون للإنسانية جمعاء وليس للدين الإسلامي وكتابه (القرآن) فقط. وإن كان نصيب القرآن، من هذا العداء، هو الأكبر والأوفر، وهذا أمر طبيعي، ومسألة صراع تاريخي بين العرضية (ملكية المال) والعمل (صانع الحياة).

ولكن الأخطر من ذلك هو العداء من الداخل دفاعاً عن الطبقية والقلة المالية الساطية. وافتعال عدم الاتفاق حول معاني آيات القرآن وكلماته. وعدم الأخذ بمنهج يعتمد على الحكمة والبصيرة القرآنية، أو المبدأ والمقصد في الإسلام، وهو الحياة الحرة الكريمة لكل إنسان وللإنسان ككل، وعدم النظر والبحث في القرآن ودراسته في ضوء الظروف السائدة في حياتنا المعاصرة، لا حياة المقبورين.

والحق المر هو هذا الاختلاف الواسع والتضارب، بل واللغو، حول ما جاء في القرآن الكريم عن العلاقة بين الرجل والمرأة، ونحن هنا سنتناول جانباً واحداً من هذه العلاقة عسى أن تتاح لنا الفرصة للكشف عن حقائق القرآن الباهرة والواضحة والحاسمة لمجمل الحياة الزواجية (الجنسية) أي العلاقة بين الجنسين. فالقرآن واضح ومبين عندما ننظر إليه نظرة موضوعية وواقعية سليمة وبمنهج حكيم واستيعاب أسلوبه البياني الذي يغوص إلى العمق. وفي الوقت نفسه يضع أمام الإنسان صورة فريدة من التعبير، بحيث يفتح آفاقاً واسعة للتفكير والاجتهاد بما يتلاءم مع وقائع الحياة عبر الزمن بماضيه وحاضره ومستقبله، وليس لفترة معينة ومنقطعة عن الأدوار الأخرى في الحياة الدنيا. وما يمر على الإنسان في أمده الزمني من تطورات، وتقلبات وتجديدات. وما هو مشكل منها إلى غير ذلك من عوامل متنوعة ومتناسجة بل ومتناقضة. كما يجعل من تفكير الإنسان ونظره واجتهاده ورؤيته، وكأنها جزء من الحقيقة القرآنية التي تستوعب الحقائق والوقائع في شمولية تاريخية رائعة وجامعة.

ويستغل رجال الدين هذه الخصائص والميزات الفريدة في المنهج القرآني لكي يصدروا أحكاماً نابعة من تقديرهم الخاص والمنحرف.

من ذلك نظرتهم (الظاهرة) إلى موضوع الجنس، حيث يطلقون أحكاماً قيمية فاسدة وغير موضوعية ولا منطقية وذات

طابع أخلاقياتي (الأخلاق الوضيعة) ذاتي ومشوب بالمزايدة والنفاق والدجل. فينطلقون، في موضوع الجنس، من زاوية أنه شر لا بدّ منه وأنه متصل بالقذارة والنجاسة والخسة والانحطاط. وذلك بدلاً من أن ينظروا إليه على أنه نعمة طيبة، ومتعة زواجية عظيمة الشأن في علاقات الناس بعضهم ببعض. فبفضل الزواجية أصبحنا أقرباء وعائلات وأصهاراً. كما تنطوي على مشاعر إنسانية وعاطفية تقوم على أساس الرحمة والمودة والسكينة والأمان في المجتمع المسلم، وأي مجتمع إنساني على الإطلاق. إلى جانب كونها وظيفة سامية ورفيعة القدر لحفظ الأجناس والتكاثر وليست محلاً للكبت والقمع والاستهجان من قبل رجال الدين، وهم يأتونها، بل، ويعددون فيها ويرجون بعبادتهم الحور العين. في الوقت الذي يختلقون ويفتعلون المشاكل والتعقيدات والتدخلات في حياة الإنسان الفردية والخاصة، بل وعلى النطاق الاجتماعي على العكس من تعاليم الإسلام وأحكامه. ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1]. ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[2] ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[3].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) سورة غافر، الآية: ٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢.

الزواج الموقت – متعة أم اضطرار

يرى بعض رجال الدين المسلمين إلى أن الأخذ بالزواج الموقت (زواج المتعة) قد أباحه القرآن الكريم. وهم يقصدون بذلك الآية الكريمة ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

ولكن هذه الآية مرتبطة في الحقيقة بالآية السابقة (النساء ٢٣). والتي ذكر فيها المحرمات من النساء بسبب النسب أو الرضاع أو المصاهرة أو بسبب عارض كأخت الزوجة وعمتها.... إلخ. وفي الآية هنا ذكر أن من المحارم المحصنات من النساء أي

(١) سورة النساء، الآية: ٢٤.

المتزوجات، وبديهي أنهن محرمات ما دمن في عصمة رجلٍ وفي عهدة قران ولكنه إنذار، إلّا أن القرآن أباح الزواج، استثناءً لذلك، من العاهدات، أي شغيلة المنزل اللواتي أسماهن القرآن ما ملكت أيمانكم (عهودكم) بينما يزيف معنى ذلك رجل الدين أي الشيخ (والفقيه) ويعتبروهن إماء. نعم كانت العبودية سائدة ولكن الإسلام والقرآن ألغيا الرق تماماً وإن بقيت بعض مظاهره، إلى أن سقطت دولة الخلافة، وتحوّلت العاهدات إلى جوارٍ مستباحة العفة. بينما كانت البنت تسمى جارية لأنها إذا تزوجت جرت إلى بيت زوجها وتركت بيت أبيها ويقابلها الغلام، ولم يكن لهذه الألقاب نظرة دونية، بل إن القرآن أطلق عليهم لقب فتيات ولذلك قال الرسول: «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وإنما ليقل فتاي وفتاتي».

وهكذا ينحرف رجال الدين عن كتاب الله وتعاليم الإسلام والأخلاق الرفيعة. ولو كان ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ مباحات جنسياً فكيف يأمر القرآن بالزواج بهن بل ودفع مهر لهن. إلّا أن المسلمين الشيعة استندوا إلى هذه الآية وما جاء فيها ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ﴾[1]. على أنها تتعلق أو تبيح الزواج الموقت (زواج المتعة) وهذا غير صحيح. فالآية تتحدث عن الزواج

(١) سورة النساء، الآية: ٢٤.

من العاهدات اللواتي كن قبل الإسلام إماء والزواج بهن عار ودنية. كما أن الاستمتاع في ذلك الوقت يعني التزويج وهو ليس موقتاً. إضافة إلى ذلك إنهم يرون أن الآية فيها جملة تقديرية وتقديرها (فما استمتعتم به منهن - إلى أجل مسمى -) ولذلك سُمي زواجاً موقتاً ولكن هذا الزواج (الذي يسمى أيضاً زواج المتعة) ربما هو الزواج الاضطراري على قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات» كما يباح أكل الميتة ولحم الخنزير عند الضرورة القصوى استناداً إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ﴾[1]. ومقتضاه أن يتزوج الرجل المرأة إلى أجل محدد ومهر معلوم (هدية) إذا كانت وكان غير مرجو للزواج العائلي وتعقيداته ودخول سن اليأس أو عدم المقدرة على مدى النظر للزواج الأسري. وفي هذه الحالة لا يحق لنا أن نحكم عليهم حكم جريمة أو زنى. والحقيقة أن الزنى هو الخيانة الزوجية وليس فعل الجنس مطلقاً.

وينحو المسلمون الشيعة هذا المنحى وهناك من يؤيدهم من المفسّرين ورواة الحديث ومنهم المعتزلة. ولم يعارض هذا الاتجاه من الفقهاء البارزين إلّا النسفي في تفسيره. إذ يقول بالآية: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ إنها لا تدل على حل المتعة، والقول

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

بأنها نزلت فيها، وتفسير البعض لها بذلك غلط وهو غير مقبول لأن نظم القرآن الكريم يأباه. ولا أدري كيف وصل إلى هذه النتيجة من نظم القرآن؟ والحقيقة أن رجال الدين (من كل طائفة) ينظرون نظرة عوراء إلى هذه الآية (فما استمتعتم به) بينما هي مرتبطة بصدر الآية ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ بعد أن ذكر المحارم في الآية السابقة واستثنى العاهدات. إن رجال الدين يعطون على هذه البينة كما يرغب الخلفاء والسلاطين باعتبار ملك الإيمان إماء بينما هي عهود بالمعنى القرآني ونكتفي بذكر بعضها:

- ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[1].
- ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[2].
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[3].

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

وقد تأتي الأيمان بمعنى الحلف وهو في الحقيقة من شروط العهد أو الميثاق. انظر مثلاً على القسم:

- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾[1].
- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[2].

والعقود والمواثيق والعهود في ذلك الوقت شفوية إلّا ما ندر. وكان الاتفاق يوقع بالمصافحة التي تتم باليد اليمنى حسب الأعراف السائدة.

والحقيقة أن الخلاف بين الملالي حول هذه الآية وهمي. فهي تتحدث عن زواج عادي أي عائلي من العاهدات كما جاء في آية النكاح ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾[3]. أي فواحدة من غير نساء اليتامى أو من العاهدات. وهي تتحدث عن الزواج الأحادي من أي فتاة أو امرأة بمن في ذلك الزواج بالعاهدات، أي ما ملكت أيمانكم. إلّا أن الملالي حرّفوا هذا المعنى وجعلوا (أو) في ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وكأنها (و). وبالتالي أباحوا لأسيادهم من سلاطين وملوك وأمراء أن يستبيحوا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣.

ما شاءوا من النساء. وإذا كانت الجاهلية تبيح الجنس مع الإماء باعتبارهن مملوكات كالحيوانات، وبعد الإسلام ظهر رقيق جنسي متوافقاً مع سقوط دولة الخلافة الإسلامية والتحول إلى نظام الإقطاع والحكم الوراثي، وأسموهن (جواري) من جارية كما قلنا أعلاه. وكما أنهم لا يكشفون للناس عن معنى مثنى وثلاث ورباع في الآية ٣ من سورة النساء.

ويتكرر هذا مع الآية التي نحن بصددها وهي آية ليس لها علاقة بزواج المتعة. والواقع أن هذا الزواج ربما له علاقة بالزواج الاضطراري.

والخلاف بين المذاهب مفتعل فكلها أو أكثرها لا يفسر (يشرح) هذه الآية (النساء ٢٤) تفسيراً صحيحاً. أو لا يعطي الكلمات والآيات معناها الحقيقي. وهم يتجادلون في زواج المتعة. وهو ما لم يتطرق إليه القرآن في هذه الآية: أما كلمة ﴿ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ﴾ فكل زواج فيه متعة. فضلاً عن أنها تعني تزاوجتم في عصر البعثة. بينما المتشيعون والمتسننون يتجادلون حول أصل المتعة. فالشيعة يرون أنها كانت موجودة في عصر الرسول ولكن وجودها كظاهرة شيء وموقف القرآن منها شيء آخر. بينما يرى المتسننون أنها نسخت على حين لا يرى الشيعة هذا الرأي.

ولكن الأمر الخطير هو تزوير معنى ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ عند كلا الطرفين وتعميمها على كل الآيات التي ورد فيها ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ والإيحاء بأن معنى أيمانكم أيديكم اليمنى، بينما معناها في القرآن، واللغة أيضاً، عهود ومواثيق. أما الأمة فهي المملوكة التي لا عهد لها مع سيدها وإلّا لما كانت أمة.

[أما بالنسبة إلى النسخ فكلا الطرفين يأخذان بمعنى مزيف لكلمة (نسخ) على أساس أنها تعني إلغاء أو إبطال آية لآية أو لآيات أخرى. بينما معناها لغة تسجيل نص وعمل عدة نسخ منه. وكان يتم ذلك بخط اليد - أما في عصرنا فإنه يطبع أو يسجل في أي شكل كان بواسطة الآلات والأجهزة المنوعة. وبالتالي فإن النسخ هو النشر حالياً، أي الطباعة والتوزيع. وبالمثل فإن الحكم الواحد أو القضية الواحدة قد ترد في عدة آيات تمثل بدائل أو خيارات، وعلى الإنسان أن يرجح بينها ويأخذ الأنسب بالنسبة إليه وإلى عصره ومجتمعه مع فرق بسيط، وهو أن هذه الآيات قد تختلف في الشكل والصياغة بعض الشيء، ولكن الحكمة والغاية والمراد واحد. فكأنها نسخ، وإن شئت فقل إنها تمثل عدة طبعات. وقد يكون لذلك هدف وهو ترسيخ المعنى، وعدم الاختلاف بشكل عام. وأعتقد أن هذا هو المقصود بتصريف الآيات الذي يظهر وكأنه

تكرار لا داعي له. ولكن من تجربتي فقد واجهتني عدة إشكالات ولبس في معاني القرآن، ولم أجد حلاً إلّا في التقابل بين الآيات التي تتعلق بموضوع معين أو ملاحقة المعنى لكلمة واردة في عدة آيات أو عدة سياقات وصيغ.

ومثال على ذلك قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]. أي تنسخ وتكتب بالحق محصية أعمالكم بلا زيادة ولا نقصان. وعلى هذا هل من الممكن أن تعني كلمة «نستنسخ» نلغي أو نبطل آية بآية. وقوله تعالى: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾[2]. والألواح هي التي كتبت فيها التوراة.

وقد وضحت هذا في كتابي «الله والملأ - رسالة إلى ابن لادن» لمن يريد الاستزادة. وقد جاء ذكر النسخ أيضاً في كتابي «من حقائق القرآن». ولم تكن رؤية صحيحة ولكنها سبقت البحث والنظر في القرآن عن إدراك معناها الصحيح].

وعلى كل حال فالبعض يتحدث عن زواج المتعة استناداً إلى الآية ٢٤ من سورة النساء. وهو استناد خاطئ. فهذه الآية تتعلق بتحليل الزواج من العاهدات ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ﴾. ولكنهم لا

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٤.

يكتفون بهذا حيث ظلوا يثيرون الجدل حول زواج المتعة. وهل أباحه الرسول أم لا؟ (وحقيقة) يتفق الطرفان على الإباحة. ولكن السنية يقولون إنه تراجع عنها. ولكن في الحقيقة أن الرسول أباح الزواج الاضطراري وليس زواج المتعة. وعلى كل حال، فإن (المتعة) في ذلك العصر كانت تعني التزويج وليس اللذة. وهذا ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود. أنه قال: كنا نغزو مع رسول الله وليس لنا نساء فقلنا ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك. ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب. ثم قرأ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[1].

وقراءة الرسول لهذه الآية يعني أنه يعتبر الجنس من الطيبات.

كذلك يبدو أن ابن مسعود يسترشد بمبدأ (الضرورات تبيح المحظورات) استناداً إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾[3]. ويتفق معه في ذلك ابن عباس. فقد ذكر الفخر الرازي في (التفسير الكبير) أن الناس لما ذكروا الأشعار في

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨.

فتيا ابن عباس في المتعة قال ابن عباس: (قاتلهم الله، إني ما أفتيت بإباحتها على الإطلاق، ولكني قلت إنها تحل للمضطر. كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير).

ولكن التحريم القاطع ينسب إلى عمر بن الخطاب. ويروى له حديث مشكوك فيه، وحتى لو كان صحيحاً فإنه حرّمها بالنسبة إلى المحصن فقط (المتزوج) حيث تكون المتعة خيانة زوجية. وينسب إلى ابن عباس قول آخر: (ما كانت المتعة إلّا رحمة من الله، رحم بها أمة محمد، ولولا نهي عمر عنها ما اضطر إلى الزنى إلّا شقي) إذن، ومرة أخرى، يحلّل المتعة للمضطر.

إن أخطر ما في الأمر هو اعتبار الآية ٢٤ من سورة النساء بأنها آية المتعة. بينما هي تتعلق بزواج عادي من العاهدات. ولا يستغرب ذلك من رجال الدين، فقد أطلقوا أيضاً تسمية آية الحجاب على الآية ٥٣ من سورة الأحزاب وهي تتعلق (بأدب التعامل مع بيت النبوة)، ومنه عدم دخول الرجال إلى بيت الرسول والكلام مع زوجاته إلّا من وراء ستار. أما غطاء الرأس للنساء فهو الخمار ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[1]. وهكذا يتلاعب رجال الدين في القرآن ويسيئون الأدب مع الله ثم يقولون (سبحانه وتعالى).

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

زواج الصحبة

وراء كل هذا اللغط والسقط من قبل رجال الدين طمس لآية أخرى وهي قول الله تعالى:

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[1].

ويبدو لي أن هذه الآية تبيح زواج الصحبة. وهذا هو المقصود من ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾. وقد وردت عدة آيات توحي أن المقصود بالصاحب بالجنب هو الصاحب والطرف الآخر هو الصاحبة وكلاهما ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾.

ويقرر رجال الدين أن الصاحب بالجنب هو المرأة. ويضيف البعض أنها الزوجة على أن هذه الأخيرة مذكورة في القرآن بمعناها

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

المحدد. بينما «الصاحبة» واردة في سياقات أخرى ولا تفيد الزوجة الأسرية وإنما الزوجة بالصحبة ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾[1] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾[2].

وهناك من يحوم حول آيات الله فيقول إن المقصود هو الرفيق في أمر حسن كعلم أو سفر فإنه يكون بجنبك. ولكن التجانب يعني بالفراش جنباً إلى جنب، ويفيد الالتصاق والاحتضان فإلى أين يوصلنا هذا.

إن الشخص قد يكتسب أصحاباً وزملاء أو رفاقاً لكن هذا يختلف، حيث إنه ورد مفهوم (بالجنب) (sahib).

إذن زواج الصحبة منصوص عليه في القرآن. وهو ما يتفق مع النظام الاجتماعي للتطور في عصرنا الذي أصبح فيه الزواج العادي غير ممكن عند مجرد بلوغ سن الرشد؛ فقديماً كان الطفل يشارك أهله في العمل (خصوصاً المنزلي) من سن السادسة بينما حالياً هذه سن الدخول إلى المدرسة.

ونظام زواج الصحبة مطبّق في وقتنا الحاضر في الغرب، ولكن في إطار الإباحية الجنسية، وإن كان تحت مسمى (الصداقة

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

(٢) سورة عبس، الآية: ٣٦.

(Girl friend – Boy friend). كما أنها قائمة عندنا، وإن في حدود ضيقة وفي حالة خفاء غالباً.

ونظام الصحبة في الإسلام يهدف إلى تنظيم العلاقة بين المرأة والرجل. وهو مشروع في حالة عدم القدرة على الزواج الأسري (النكاح) أو لا تسمح ظروفه لمثل هذا الزواج وأن يلتزم بعهد الصحبة وبنية الزواج الأسري متى سمحت الظروف. وقد تقدم الطب الشرعي في ضبط حالة النسب فيما لو ظهرت مشاكل أو إشكالات. وهو ما يحدث أيضاً في حالة الزواج الأسري. على أن يكون ذلك بعيداً عن رجال الدين وفتاويهم المتشددة والمتزمتة نفاقاً وفساداً وخروجاً عن مبدأ الوسطية في الإسلام خدمة لأسيادهم. فقد أحلّوا تعدد الزوجات دون نظر في حكمة القرآن بل وتزوير معاني القرآن كما هو مثلاً، في ما يتعلق بالزواج الأحادي، حيث يفسّرون، والأحرى يحرّفون، الآية ٣ في سورة النساء. وقد تطرّقنا إلى ذلك في كتابنا «من حقائق القرآن».

والحقيقة إن سلوك رجال الدين لا يختلف عن سلوك الإنسان العادي وشهواته ورغباته اللهم إلّا في زيهم وطول لحاهم. والحقيقة لا أدري لماذا يميز رجال الدين أنفسهم بزي خاص ويظهرون المسكنة أمام الملوك والسلاطين والحكام وتكبرهم للإنسان العادي. إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يميِّز نفسه بلباس

خاص غير الذي يظهر به عامة الناس، بل وكّل الصحابة، وبينما يقولون (دون فهم) إن الإسلام دين الفطرة، فإن الغريزة الجنسية هي أيضاً فطرة الله في الإنسان، وما جاءت الشرائع لتقررها، وإن كل ما جاءت به (ومنها شريعة محمد (ص)) هو تنظيمها وتوضيح معالمها وحدودها ويجعلها مثلاً أمام الأمم والشعوب وليس التفجيرات للانتقام. وإذا كانت الدول أو المجتمعات المتقدمة تعيش في فوضى جنسية فإنهم أقدر منا على معالجة أمورهم من رجل دين متسكع مشعوذ لا يختلف عن الكهان قبل الإسلام في شيء. فالكهانة احتراف للدين حيث تدر اكتساباً لا كسباً، وهم الذين يحررون عقود الزواج للأمراء والخدماء، وهم يعلمون أنه تزويج بنية الطلاق. وهو ما لا يجوز شرعاً بأي حال. ومدى هذه العقود أسابيع مع شرط البكارة بينما يحرّمون زواج الصحبة وهو وارد في القرآن.

ومن هذا المستوى يطرحون أنفسهم مصلحين للفساد، ليس لمجتمعهم فقط، وإنما للعالمين كلهم. لقد تطور الغرب وهو يتقدم بلا عكاز من رجال الدين. يقول محمد سعيد العشماوي في «الإسلام السياسي»: (إن المفهوم الجنسي عند الغرب قد تطور فلم يعد الجنس مجرد وظيفة مادية (جسدية) وإنما صار يعد حاجة طبيعية ونفسية تتطلب إشباعاً، وإلّا أدّت إلى عواقب وخيمة على

الصحة البدنية والنفسية... وفي الأندلس - إبان حكم العرب - كان بعض المسيحيين يلومون بعض المسلمين، على ما يلوم عليه مسلمو اليوم مسيحيي الغرب). - لقد تحولت الحاجات الطبيعية، في عصرنا الراهن، إلى واجبات اجتماعية، بل فروض عامة، وليس مجرد انحلال أو انحطاط أو القول إنها من أخلاقيات الغرب. ولكن مما لا شك فيه أن التطور الاجتماعي الطبقي قائم على تحقيق أقصى الأرباح للقلة، وأدنى أجور للعمل.

ووفق هذا النظام الرأسمالي تستغل المرأة والإنسان الكادح. وإذ كان هذا يعني المرأة أيضاً، فإنها تقع تحت استغلال مزدوج كونها شغيلة وكونها امرأة.

ولو كان الملالي غيارى على الإسلام ومسلمين حقاً، لقدموا بديلاً إسلامياً للإنسانية كلها قاطبة ينسجم ويتفق مع التطور الحضاري لعصرنا الراهن. ولكنهم، بدلاً من ذلك، فإن القوى الرجعية والملأ السائد يتخذون من الجنس وسيلة للإرهاب والقمع وتدجين البشر واستعباد المرأة. وقد نجحوا في اغتيال شخصيتها؛ فالرذيلة والعار يلحقان بالمرأة ولا يلام الرجل بالقدر نفسه، وقد لا يلحقه ذم إطلاقاً، بينما لا دعارة إلّا ولها زبائن من الرجال.

إن من شأن (زواج الصحبة) أن يقضي على مواخير الدعارة ويخفف من التفريغ الذاتي واللواط ويقلل من الجرائم الجنسية.

كما أنه يمكن أن يؤدي إلى الزواج الأسري إذا تحسنت ظروف الصاحبة والصاحب.

إلّا أنه ينبغي استبعاد وساطة رجال الدين - من تحرير عقود الزواج الصحبي حتى لا تكون متاجرة قبيحة. وأن تخلو من كل عنصر من عناصر الإكراه، والتسكّع والتطفّل والارتزاق. وأن تعتمد على التعارف والتفاهم الحر المفتوح والمباشر.

وقد شرع الله تعالى حرية التزاوج للمرأة ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وذلك دون ضغط أو تشهير أو إساءة. والتحصين (العفة) أمل كل امرأة وفتاة. وواضح من نص الآية أن الأمر راجع إلى المرأة في اختيار الزواج أو عدمه. ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ أي زواجاً، ولكن تفسير الآية مبتور في الحقيقة، فالإحصان هو العفة وليس الزواج، ولكن الزواج وسيلة أو سبب للتعفف من البغاء. والوسيلة الثانية هي إيجاد عمل شريف للفتاة تستغني به عن الدعارة وإكراه القواد لها، ولكنها حرة أن تتزوج أو لا، فالمهم هو الامتناع عن الدعارة. أما إذا لم يردن الزواج فإنهن حرائر، ولكن إذا توافرت الوسيلتان. ومع ذلك يلجأن أيضاً إلى الدعارة فيجب أن يمنعن بطريقة ما بما في ذلك الردع الكافي.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٣.

والحقيقة أن كل الفتيات اللواتي يسقن إلى البغاء يطلبن حقاً وحقيقة العفة إلّا ما ندر. وتمنع القوانين في الغرب البغاء ولكنه منع شكلي، فالفتيات معروضات للتصريف جهاراً نهاراً. بل هناك شركات للمرافقة Escort وهم يعلمون أن هذه شركات دعارة. وأصبحت المرأة أيضاً معروضة للتصدير والاستيراد وما يسمى الرقيق الأبيض. وهذه الشركات والمكاتب تتصيّد الفتيات من كل نوع ولكل زبون داعر. والشيء الآخر هو أن الفتيات المتورطات في البغاء إذا تركن البغاء يصرن عفيفات. ولا ضير في ذلك من الزواج بهن، وسيكون مأجوراً من ينقذهن من مخالب الذئاب.

وخارج ذلك، فإن الشهوة الجنسية عامة عند الرجال والنساء. ولكن الملالي لا يأخذون في الاعتبار إلّا متعة الرجال. بينما هي متعة مشتركة سواء بسواء. وحق المرأة والرجل فيها سواء لإشباع الحاجة العاطفية ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[1]. وعلى كل حال فإن زواج الصحبة هو الطريقة المثلى، لاختيار شريك وشريكة الحياة بدلاً من أسلوب (الخطبة) البائس.

وبالتالي، فإن أي علاقة جنسية شرعية ينبغي أن تقوم على التعارف. فللرجل أن يتعرف إلى المرأة بالاختلاط والحديث

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٩.

والمجالسة ودون اختلاء سراً. ومن حق المرأة، أيضاً، أن تتعرف إلى الرجل المناسب، بحيث تتكون صورة تدعو إلى القبول أو عدمه عند كليهما.

إن سنة الله الجارية والفاعلة في المجتمع والحياة تقتضي أن يلتقي المتقابلان من ذكر وأنثى. ولكي يتم الانسجام بينهما خلق الله الرجل والمرأة وأودع فيهما التكامل في التكوين، والتقابل في الوظيفة كدافع إلى التقارب والوحدة نسباً وصهراً.

والمهم، من حيث المبدأ، أن الإسلام لا يستنكر العلاقات العاطفية بين المرأة والمرء. ولا يرفع الإنسان فوق طبيعته البشرية، وإنما ينبغي وضع حدود لنظام التزاوج والسلوك السوي. وزواج الصحبة يتمم الزواج الأسري أو مقدمة له، كما أنه يستوعب زواج المتعة، وهذا يقترب من زواج الصداقة في الغرب وكل ذلك على خير.

يقول محمد البهي في كتابه «الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر» صفحة ٢٠٣: (إنه لولا اشتراط المهر في زواج المتعة لكان أشبه بما هو جارٍ اليوم في المجتمع المعاصر مما هو معروف بعلاقة الصداقة بين الرجل والمرأة، وإذا أدخل اعتبار الهدايا التي يقدمها الصديق إلى صديقته من وقت لآخر وجعلت مهر متقطع... عندئذٍ يكون الشبه تاماً).

كما أن الزواج الذي أخذه أو طبّقه الرسول في ثلاث غزوات قيل إنها خيبر وحنين وفتح مكة، هو زواج الضرورة والاضطرار. ولكن مصادره ضعيفة.

بل إن علاقة الصداقة في الغرب يلوح منها أنها أفضل من التمتع الموقت، لأنه يقوم على علاقة دائمة لا عابرة وأساسها التفاهم والتوافق، وقد تنتهي بالزواج الأسري. وقد تنحل، ولا تترتب عليه سلبيات الطلاق ومشاكله. بل من الأفضل أن يتفرقوا إذا لم يتوفقوا بدلاً من عقد قران فاشل وتشريد أطفال.

ولذلك، فإن زواج الصحبة تجربة ضرورية لزواج عادي موفق بالتوافق، ويتماشى مع حاضرنا التاريخي الذي نمر به ولا نعيشه، حتى ولو من منظور القرآن الكريم بعينه.

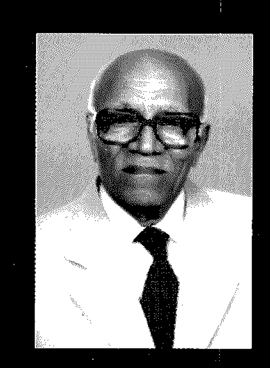
إن ظروف الحياة والحضارة الحالية تحول دون الزواج المبكر. وهذا يفرض أن نأخذ بصيغة لحل جانب من جوانب الحياة المشتركة وهو زواج الصحبة، وعلى أساس المبدأ أو الحكمة. وقول الله تعالى. وبالتالي يكون عندنا ثلاثة نماذج من الزواج:

١ - الزواج الأسري الأحادي.

٢ - زواج الصحبة.

٣ - زواج الضرورة.





الصلاة يقظة الوجود صباحاً، وهجوع الكون الرحيب مساء. وهي للمسلم لقاء مع الله وكتابه مرتين في اليوم الواحد. والوقت المحدد لها شرط لقيامها. فلا تجوز إلا في الفترة من الفجر إلى الضحى، ومن دلوك الشمس وغروبها، إلى ظلمة الليل وسكونه. فكيف انتهت إلى خمس مرات في اليوم، وغدت عبئاً ثقيلاً بركوع وسجود على غير ما أراد الله تعالى؟

والزواج، الصلة الأولى بين الرجل والمرأة وحكمة رب العالمين، حشرناه في أضيق الحدود قهراً وقسراً.

وفي سبيل الانعتاق من كل ذلك، يصدر هذا الكتاب في طبعة جديدة منقحة ومعدلة، أتوخى بها رضى الله، وأدعو القارئ للتوجه إلى كتاب الله، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، ومن الله التوفيق.


ISBN 978-614-432-592-6